وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي

جامعة يحي فارس بالمديـــة

كليـــة العلوم الإنسانيـــة و الاجتماعية

شعبـــة التاريـــخ

محاضرات في الاستشراق

قُدِّمَت لطلبة السنة الثانية ماستر (تخصص تاريخ الدولة العثمانية 1453– 1924م)

إعداد الدكتور: عبد الرزاق تومیات

السنة الجامعيـــة: 1441– 1442هـ/ 2020–2021م

مقدمة:

أردنا في هذه المحاضرات التي قدمناها إلى طلبة السنة ثانية ماستر تخصص الدولة العثمانية (1453- 1924م) أن نشير إلى الاستشراق كظاهرة فكرية و علاقتها بالدولة العثمانية منذ فتح القسطنطينية الذي يعتبر تاريخ بداية لعلاقات جديدة بين المسلمين الذين مثّلتهم الدولة العثمانية وبين الغرب الأوربي الصليبي إلى غاية سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924م.

تهدف هذه المحاضرات إلى تمكين طلبة التخصّص من معرفة ما يُكتَبُ من طرف أقلام أوربية عن العالم الإسلامي في مختلف المجالات، ومدى موضوعية المستشرقين حيال ما يكتبون، وكيفية عرضهم للوقائع و الأحداث التاريخية.

تضمّنت هذه المحاضرات جملة من المحاور، خصّصنا المحور الأول للحديث عن الاستشراق كمصطلح وتاريخ، إضافة إلى تعاريف مقترحة لمصطلح مستشرق، أما المحور الثاني فتعلّق بنشأة الاستشراق ودوافعه الدينية و السياسية و الاستعمارية و الاقتصادية، و أشرنا في المحور الثالث إلى فئات المستشرقين و أهم المناهج التي طبقوها على الدراسات الإسلامية عموما و العثمانية على وجه الخصوص.

وفي المحور الثالث أشرنا إلى مظاهر النشاط الاستشراقي الذي تجلى في العديد من الأشكال كالكتب والمجلات والدوريات و المجامع اللغوية والرحلات والبعثات العلمية و المؤتمرات وغيرها.

وأبرزنا في المحور الرابع العلاقة بين الاستشراق و التبشير (التنصير) في البلاد الإسلامية فوضّحنا أهدافه ومظاهره و مدى تأثيره على الدولة العثمانية خاصة في القرن 19م الذي مثّل فترة حسّاسة من تاريخ العثمانيين و الإيالات العربية التابعة لهم.

أما المحور الخامس فأشرنا فيه بشيء من التفصيل إلى اليهود وعلاقتهم بالاستشراق والدولة العثمانية مركِّزين على أهم المستشرقين المعاصرين الفاعلين في توجيه الاستشراق خدمة للأهداف الصهيونية.

وكان الحديث في المحور السادس عن الاستشراق و قضايا التاريخ العثماني من خلال الرحلات و كتابات الدبلوماسيين الغربيين، و كذا ما اصطلحنا على تسميته بالاستشراق الصامت ونعني بذلك البعثات الأثرية و الرسم والتصوير وهي في نظرنا أيضا قضايا جديرة بالاهتمام.

وَجَبَ التنويه أن هذه المحاضرات لا تعدو كونها إلا مجرد إطلالة عامة على موضوع شائك و ذو تفرّعات، ويحتاج إلى المزيد من البحث والتقصّي من جانب الباحثين والمهتمين بهذه الظاهرة الحضارية التي تُعْتَبَرُ نَتَاجًا مباشرا لاحتكاك قوي بين الشرق و الغرب.

المحاضرة الأولى: الاستشراق مفهومه و نشأته ومجاله الجغرافي

أ- مفهوم الاستشراق (Orientalism):

لغـــــة:

إن مصطلح استشراق لفظ مُسْتَمَدٌّ من الفعل الثلاثي شَرَقَ فيُقال شَرَقَتِ الشمس أي طَلَعَت من الشرق[1]، و الشرق جهة من الجهات الأربعة و خلافه الغرب، و الشُّروق يعني الطُّلوع[2] و يُقال شَرَقُوا أي يَمَّمُوا وجوههم قِبَلَ المشْرِقِ، و مَطْلَعُ الشَّمْسِ ما طَلَعَ من المشْرِقِ و تعني شرق[3].

و تقابلها باللاتينية كلمة Orient التي تحمل ذات المعنى، و الفعل Orienter اتجه شرقا أي نحو الشرق[4] و كلمة Orientalism ذات دلالة معنوية أكثر منها لغوية.

اصطلاحـا:

أما المعنى الاصطلاحي للاستشراق فَيُعَرَّفُ على أنه تيار فكري غرضه إجراء دراسات مختلفة عن الشرق على وجه العموم، و تشمل هذه الدراسة الدين و الآداب و الفنون و اللغات و الثقافات، و هو تَصَوُّر الغرب للشرق من منظور غربي بالمفهوم الواسع و العالم الإسلامي على وجه الخصوص[5].

و يذهب بعض المفكرين إلى القول بأن الاستشراق مصطلح أكاديمي صِرف و أنه مؤسسة مشتركة للتعامل مع الشرق بإرسال التقارير و الوصف و الدراسة من أجل السيطرة و التحكم

---

[1] زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، مختار الصّحاح، ج 1، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت 1999م، ص164

[2] جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج10 ، دار صادر، ط3، بيروت 1414هـ، ص 173.

[3] محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد 25، تحقيق عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت 1965م، ص 493.

[4] Larousse French English Dictionary, Canadian Edition, New York the world book en Encyclopedia, Vol 14, USA 1964, p 647.

[5] مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة، ج2، إشراف و تخطيط و مراجعة مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، ط4، الرياض 1420هـ، ص 687.

و التسلط، و هو أيضا أسلوب من التفكير يقوم على التمييز الوجودي و العرقي بين ما يسمى الشرق و الغرب [1].

و الذي يقوم بالاستشراق هم علماء الغرب الذين عكفوا على تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة و التحليل من مختلف الجوانب، إلا أن المستشرق رودي بارت Roudi Paret [2] يحصر الاستشراق في كونه علما في فقه اللغة على وجه الخصوص[3].

ب- نشأتــه:

ليس هناك إجماع على تاريخ مضبوط للاستشراق من وجهة النظر التاريخية، فهناك من أشار إلى ارتباطه بالحكم الإسلامي في الأندلس، فكانت إذاك الحواضر الإسلامية في الأندلس قبلة للنصارى الذين توجّهوا إليها زُلْفَى وأَشْتَاتًا لطلب العلم في جامعاتها ومعاهدها، التي شكّلت مراكز إشعاع حضاري أضاءت ظلمات الجهل في أوربا.

---

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر محمد عناني، رؤية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة 2006م، ص 29.

[2] مستشرق ألماني (1901- 1983م) درس في جامعة توبنجن اللغات السامية و التركية و الفارسية، رحل إلى القاهرة و أمضى فيها سنتين واهتم بالأدب الشعبي، ثم وسّع اهتمامه ليشمل اللغة العربية و الدراسات الإسلامية، ترجم القرآن إلى اللغة الألمانية من مؤلفاته: محمد و القرآن و الإسلام والتراث الثقافي اليوناني، انظر عنه:

عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط 3، بيروت 1993م، ص ص 62- 63.

[3] رودي بارت، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) تر مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة 1970م، ص11.

كان الرهبان والقسّيسين يتلقّون مختلف العلوم كالفلسفة والطب والحساب والفلك والهيئة واعتبروا تلامذة العلماء المسلمين، كما قام أولئك الرهبان بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية (اللاتينية)[1].

لقد كان ذلك مقدمة لرحلات عديدة في شكل بعثات علمية شدّت الرحال إلى الأندلس فرنسية وإنجليزية و من ويلز، و بافاريا وسكسونيا والراين و بلغ عددهم نحو سبعمائة بين طلبة وطالبات[2].

وأعقب ذلك حركة واسعة لترجمة أمهات المؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية، وأنشئت مكتبة للترجمة في طليطلة سنة 1130م من طرف رئيس الأساقفة في المدينة دون رايموندو الأول (1125-1152) في مختلف العلوم والفنون[3].

ثم خطى الغرب خطوة أخرى بنشر ما تحصّلوا عليه من علوم المسلمين التي ترجموها إلى اللغة اللاتينية، وكان ذلك إيذانا بظهور الجامعات الغربية التي اعتمدت على مؤلفات العلماء العرب كمناهج دراسية تلقّن للطلبة.

ولما اشتدت شكيمة الغرب المادية والفكرية أرادوا القيام بدور آخر يتمثل في الرغبة في التفوق والاستيلاء على تاريخ الشرق وجغرافيته في إطار الحركة الاستعمارية.

وفي أعقاب فشل الحملات الصليبية على الشرق أيقن الغرب أن القوة العسكرية وتسيير الجيوش وإعداد الحملات لا يبدو فعلا مجديا في مواجهة المسلمين الذين يقدّسون الجهاد ضد أعداء الدين،

---

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط5، بيروت 2003م، ص 80.

* برز من أولئك الرهبان الذين استفادوا أيما استفادة من تراث المسلمين و علومهم البابا جربرت (ت999 م) و بطرس المكرّم (1092- 1156م) و جيرار دي كريمونا (1114- 1187م) انظر: لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ج1، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ط1، بيروت 1929م، ص 11.

[2] علي الخربوطلي، المستشرقون و التاريخ الإسلامي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة 1988م، ص 32.

- يجدر بالذكر أيضا أن بغداد كانت تتردد إليها بعثات علمية من أوربا في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (786- 809م).

[3] نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، دار المعارف، ط3، القاهرة 1946م، ص 99.

لذلك طفقوا يبحثون عن سبيل آخر للسيطرة والغزو فكان سلاحهم هو الغزو الفكري، وذلك بالسعي الحثيث لمعرفة الآخر [1].

قضى مجمع فينا الكنسي سنة 1314م برئاسة البابا كليمنت الخامس Clément V (1264-1314)، أن تدرس في حواضر الغرب في باريس وإكسفورد وبولون ومونبلييه دروسا في اللغة العربية، ثم اشتدّ الاستشراق مع القرن 13م فأُنشِئت في النمسا مدرسة اللغات الشرقية منذ سنة 1795م، ثم توالى ظهور المدارس في ألمانيا وروسيا وإيطاليا وإنجلترا وغيرها [2]، ومع ذلك لم يظهر الاستشراق كمصطلح رسمي إلا في عام 1779م في قاموس إكسفورد بإنجلترا، بينما تَأخَّر ظهوره في فرنسا إلى عام 1838م في قاموس الأكاديمية الفرنسية [3].

ج- مجـــاله الجغرافـــي:

امتد الاختلاف بين الباحثين و المهتمين بالاستشراق إلى تحديد المعالم الجغرافية لهذه الظاهرة الحضارية، فالشرق بمفهومه الواسع يُعنَى به المناطق الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى أقصى شرق آسيا و هو يشمل خليطا من الأجناس في قارتي إفريقيا و آسيا، لكن هناك تفسير آخر يحدد المجال الجغرافي للشرق بالمناطق التي أشار إليها الكتاب المقدس و الحملات الصليبية، و مناطق توسّع الإسكندر الأكبر (356-323ق.م) و نابليون بونابرت (1769-1821م)، أي مناطق الاحتكاك الحضاري[4] بين الشعوب الشرقية و الغربية، و نعني بهذه المناطق بيت المقدس و بلاد الشام و مصر، لكن هذا التفسير يبدو غير كاف فالشرق من وجهة نظرنا يعني مجالا معينا من قارتي إفريقيا (شمال القارة) و آسيا بشقيها الأدنى و الأوسط و بدرجة أقل تأثيرا الهند و الشرق الأقصى (الصين و اليابان)، فاهتمام الغرب محصور في بلاد الإسلام خصوصا بعد ظهور الاستعمار الأوربي

---

[1] علي محمد جريشة و محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ط3، المدينة المنورة 1979م، ص 19.

[2] مجلة المجمع العلمي العربي، ج3، م 23 (1 تموز 1948 م)، ص 347.

[3] الموسوعة الميسرة للأديان (687/2).

[4] إدوارد سعيد، المرجع السابق، ص ص 273- 274.

الحديث مع بداية القرن 19م، و هناك من يرمق الشرق بنظرة خيالية غير قابلة للتحقيق في بعض الروايات الأوربية التي تصوره عالما بعيدا عن الواقع[1].

إن التقسيم الذي أشرنا إليه هو امتداد لصراع تاريخي عام بين اتجاهين متناقضين في الفكرة و الهدف، فالاختلاف بين الشرق و الغرب هو صراع و تنافس تاريخي بين الفرس و الروم ثم بين المسلمين و الروم و بين العثمانيين و الأوربيين، أي بين الهلال و الصليب، هذا الصراع الذي انحصر مكانيا بين ثلاث قارات آسيا و إفريقيا من جهة و أوربا من جهة أخرى[2]، ثم انضمّت أمريكا لاحقا إلى أوربا ليُشَكِّلا الغرب بمفهومه الجيوسياسي الواسع.

هناك صعوبة تعتري الباحثين في تحديد معنى دقيق للشرق، ولذلك رأينا المستشرق الألماني رودي بارت يتساءل: ما معنى كلمة شرق؟ فالزمان والمكان يتغيّران، والشرق عند الياباني أو العربي أو الأمريكي يختلف ويختلف أيضا في العصور القديمة عنه في العصور الوسطى أو في الفترة الحديثة والمعاصرة، إنّ تحديد الأبعاد المكانية للشرق يبدو أمرا متعذّرا، فهل يمكن أن نقصد بها مفهوما جغرافيا أم حضاريا؟ هل هي حدود ثابتة أم متغيّرة؟ أم أسلوب حياة له مميّزاته تفصله عن غيره؟[3].

ونتيجة لذلك خلص بارت إلى الاجتهاد فاكتفى بتعريف الاستشراق والكف عن مصطلح الشرق والبحث فيه، فأشار قائلا: «...ومهما يكن من أمر فإن اسم الشرق لا يبيّن بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط، والمهم هو الموضوع ذاته أي الاستشراق ...»[4].

ويقدم لنا أحد المفكرين تفسيرا مُقْنِعًا لمفهوم الشرق ومجاله المكاني مفاده أنّ أحداثا طارئة هي من تولّت أمر تحديده، منها الحروب الصليبية وزحف التتار على المشرق وبلاد المسلمين و جلاء

---

[1] إدوارد سعيد، المرجع السابق، ص 276.

[2] محمد محمد حسين، الإسلام و الحضارة الغربية، دار الإرشاد، ط1، بيروت 1969م ، ص 11.

[3] الخربوطلي، المستشرقون و التاريخ الإسلامي، ص 14.

[4] بارت، الدراسات العربية و الإسلامية...، ص 12.

المسلمين عن الأندلس، ثم الهجمة الغربية على العالم الإسلامي وتطويقه بحريا و عبر مراحل بداية من القرن 16م[1].

مضت قرون عديدة و الشرق يتّسع ويتقلص بحسب الظروف والأسباب، حتى ظهرت الدولة العثمانية التي أوجدت للشرق معنى جديدا بحسابات تلك الحقبة التي كانت مفصلية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

علينا أن نضع أيضا في الحسبان التفسير الجيوسياسي للشرق، فهو في المراحل المتأخرة من العصر الحديث الأصقاع التي تعرّضت للغزو الاستعماري ونُهِبَت ثرواتها ومقدراتها الاقتصادية، في حين هناك من يفسّر هذا المفهوم دينيا كون الشرق يمثّل الإسلام على وجه الخصوص، وعلى هذا الأساس يمكن أن يتضمّن أجزاءً من شرق أوربا، لأن الدولة العثمانية ضمَّت هذه المناطق في حركة فتوحاتها باتجاه أوربا على عهد السلطان محمد الفاتح (1432- 1481م)[2].

[1] مجلة الهلال، عدد1، السنة 64، 1 يناير 1955م، ص 47.

[2] محمد فتح الله الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام و موقف بعض المستشرقين منها، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان، ط1، طرابلس الغرب 1983م، ص ص 56 – 57.

المحاضرة الثانية: المستشرقون المصطلح و الدوافع

أ- المستشرقون (Orientalists):

وردت تعاريف كثيرة لمصطلح مستشرق و لنا أن نذكر بعضها:

فالمستشرقون هم الذين يعنون ببحوثهم لغات الشرق و علومه... أما من يهتم بدراسة مدنية الإسلام و العرب فيقال لهم المتعربون تمييزا لهم عن سائر من يعنون بلغات الشرق و علومه [1].

أما في رأي المفكر إدوارد سعيد فهو: « عالم غربي متخصّص في البلدان الشرقية من خلال عملية تأهيل علمي أكاديمي نظامي في الدراسات الشرقية »[2].

و في رأي المفكر مالك بن نبي (1905 – 1973م): « أنّنا نعني بالمستشرقين الكُتّاب الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي و الحضارة الإسلامية »[3].

و أشار آخر بقوله: « ... إنّ مصطلح المستشرقين مفهوم واسع يشمل طوائف متعددة من الباحثين و العلماء الذين يعملون في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة، فهم يدرسون العلوم و الفنون و الآداب و اللغات و الديانات و التاريـــخ، و كل مـــا يخص شعوب الشرق مثل الهنود و الفرس و الصينيين و اليابانيين و العالم العربي و غيرهم...»[4]، لكن البعض يحصر المستشرق في كل باحث متخصّص من الغرب قام بدراسة عن الإسلام و المسلمين بقصد التشويه و التشكيك[5].

---

[1] مجلة المجمع العلمي العربي، ج3، م 23 (1 تموز 1948م)، ص 347.

[2] إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر محمد عناني، رؤية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة 2006م، ص 201.

[3] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة عمار، القاهرة 1970م، ص 10.

[4] محمد حسين، المرجع السابق، ص 11.

[5] الزيادي، المرجع السابق، ص5.

و لنا أن نورد تعريفا مفيدا للمستشرق في أنه « ... كلّ من تجرّد من أهل الغرب إلى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية و التركية و الهندية و العربية، و تقصّي آدابها طلبا لمعرفة شأن الأمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها و عاداتها و تاريخها و ديانتها أو علومها و آدابها إلى غير ذلك ...»[1].

و ليس من الضرورة أن يشدّ المستشرق الرحال شطر المشرق للاستقرار به و الأخذ من طباع أهله و مخالطتهم مَلِيًّا، فهناك من المستشرقين من لم يبرحوا بلدانهم فقاموا بدراسات لها من الأهمية بمكان في الجامعات و المعاهد و المكتبات التي يشتغلون بها، إلا أنه من الأفيد لهم أن يرحلوا إلى الشرق للاستفادة أكثر وليروموا الحقيقة و الواقع معا[2].

ب- الدوافع:

تعددت الدوافع التي تأسّس من أجلها الاستشراق إذ لا يمكن حصرها لتعددها وتداخلها فتكون أحيانا الدوافع دينية المنطلق ثم تغدو سياسية مرتبطة بالاستعمار في الفترة الحديثة، ثم تتحول أحيانا إلى الجانب الاقتصادي، وترتبط أحيانا أخرى بالخلفيات التاريخية والنفسيات التي يكون عليها المستشرقون كتغيّر المزاج والاهتمام، فهناك من امتطى الاستشراق واتخذه وسيلة لإشباع نزواته، فقاموا برحلات طويلة استغرقت سنوات طلبا للزرق وتغييرا لأنماطهم الدنيوية أو الدينية، ويمكن أن نحصر هذه الدوافع اجتهادا فيما يلي:

- **الدافع الديني:**

أشرنا في ما سبق أن الاستشراق أول ما نشأ بجهود الرهبان والقسيسين الذين اتصلوا بالأندلس واكتسبوا ثقافة واسعة ومعارف متنوعة، واستفادوا منها في معرفة أسباب قوة المسلمين الحضارية ووحدتهم رغم تعدد شعوبهم وأعراقهم وعن السر الذي جمع العرب والفرس والأتراك وغيرهم،

[1] مجلة لواء الإسلام، المجلد4، عدد6 (صفر 1370هـ/ نوفمبر 1950م).
[2] الخربوطلي، المرجع السابق، ص 22.

فوجدوا أن دين الإسلام هو الذي صعد بهم إلى معارج النجاح الديني والدنيوي في إطار جغرافي واسع يصعب التحكم فيه من وجهة النظر العملية لغير المسلمين.

عندئذ اعتبر الغرب المسيحي أن الإسلام هو خصمهم الأزلي، فعقدوا العزم على محاربته خاصة وأن آثار هزائمهم في فترة الحروب الصليبية كانت لا تزال ماثلة للعيان، وأصبحت رغبتهم هي معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه ولتنفير النصارى من الدخول فيه ونشر المسيحية وتوسيع حدود الكنيسة، وازداد هذا التوجُّه بعد الفتوحات العثمانية التي طرقت أبواب فينا في وسط أوربا[1].

يمكننا الإشارة إلى ثلاث خطوات[2] أقبل عليها الغرب بشكل مدروس للنيل من الإسلام والمسلمين:

– الخطوة الأولى تمثلت في محاربة الإسلام ومحاولة تشويهه بالبحث عن نقاط ضعف المسلمين من الناحية التاريخية.

– الخطوة الثانية هي منع المسيحيين من معرفة الإسلام معرفة صحيحة، لِئَلَّا يدخلوا فيه ولا يَتَأَتَّى لهم ذلك إلا بالطعن فيه والتحذير منه وتصويره بمظهر الخطر الكامن.

– الخطوة الثالثة هي تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم بمختلف الوسائل الممكنة، رغم اعتراف المنصّرين والمستشرقين بصعوبة المهمة.

ويقول أحد المستشرقين مُعْتَرِفًا أنّ هدف الاستشراق إبان نشأته الأولى اقترن بالتبشير و«...إقناع المسلمين بِلُغَتِهِم بِبُطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي...»[3].

---

[1] علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض 1993م، ص ص34-35.

[2] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة 1997م، ص 75.

[3] بارت، المرجع السابق، ص 9.

ولنا أن نورد شهادة للمستشرق الأمريكي برنارد لويس[1] مفادها أن الخلفية الدينية والتعصب لا تزال ماثلة في مؤلفات عدد من علماء الغرب، لكنها استترت في الغالب خلف الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية[2]، التي كانت زادا للمنصّرين بقصد استعمالها وإشاعتها في الأوساط الثقافية في العالم الإسلامي خلال العصور الحديثة[3].

- **الدافع الاستعماري:**

حين ظهور الفكر الاستعماري الذي غلب على عقول مفكري أوربا في الفترة الحديثة استنادا إلى بعض النظريات الأنثروبولوجية التي طرحها مستشرقون متعصبون من أمثال رينان[4] وجدوا فيها مادة دسمة للسيطرة والغزو، وهكذا ارتبط الاستشراق والاستعمار بعلاقة قوية.

لقد استفادت الدول الاستعمارية أيما استفادة من مؤلفات المستشرقين، فعلى سبيل المثال لا الحصر استفادت فرنسا في عهد نابليون بونابرت من كتاب المستشرق فولني[5] الذي حرّض بلاده

---

[1] برنارد لويس B. Louis (1916-2018م) مستشرق يهودي أمريكي تخرج من جامعتي لندن و باريس و توظف أستاذا للتاريخ الإسلامي في جامعة لندن سنة 1938م و عمل بوزارة الخارجية بين سنتي (1941-1954) و أستاذا لتاريخ الشرق الأدنى و الأوسط في جامعة لندن سنة 1949م، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعين أستاذا للتاريخ في جامعة كاليفورنيا ما بين 1955-1956م، اشتهر بتخطيطه لمشروع تقسيم الشرق الأوسط من آثاره: تركيا اليوم، أين الخطأ؟ و ملاحظات و وثائق من المحفوظات التركية، اكتشاف المسلمين لأوربا، إسطنبول و حضارة الإمبراطورية العثمانية و غيرها انظر: العقيقي، المستشرقون، ص ص 561- 652 (بتصرف).

[2] زقزوق، المرجع السابق، ص 73.

[3] محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه و وسائله، دار قتيبة، ط1، طرابلس 1998م، ص 37.

[4] أرنست رينان Ernest Renan (1823- 1892م) مستشرق فرنسي، حذق اللغات الشرقية و عاش فترة من الزمن في بلاد الشام، له العديد من النظريات الانثربولوجية التي استفادت منها الحركة الاستعمارية خلال النصف الثاني من القرن 19م، انظر عنه:

- العقيقي، المستشرقون، ج1، ص 202.

[5] دي فولني فرانسوا François De Volney (1757 – 1820م) مستشرق و رحالة و فيلسوف فرنسي، قام برحلة إلى مصر و بلاد الشام وسجّل انطباعاته عن الشرق في كتاب رحلة إلى مصر و بر الشام في جزأين سنة 1787م، مقترحا على الساسة الفرنسيين غزو الشرق، فجهز نابليون بعد سنوات خطة لغزو مصر وبلاد الشام اعتمادا على هذا المؤلف، انظر عنه:

- Nouvelle Encyclopédie Théologique, Tome 3eme, J. P Migne Editeur, Paris1851 , pp 1542-1546.

على غزو الشرق باعتبارها مكانا للتوسع، والأمر ذاته عند اللورد كرومر[1] الذي كانت له يدٌ طُولَى في سياسة بريطانيا بالشرق، والأمثلة كثيرة في هذا الجانب.

ونجد من المستشرقين من تَرَقَّى في المناصب السياسية فَبَلَغَ أعلاها وتدرّجوا في أجهزة الاستخبارات الغربية، فَزَوَّدوا حكومات دولهم بخرائط وتقارير وبحوث هي في غاية الأهمية، ويمكن أن نشير إلى أشكال التعاون بين المستشرقين والساسة الغربيين الطامحين للاستعمار التي اتخذت سبلا مباشرة وغير مباشرة تجلّت في إبداء النصح للساسة والعسكريين باحتلال المناطق ونشر الجيوش واقتسام الأسلاب بين الدول الاستعمارية.

فضلا عن ذلك كُلِّفَ الكثير من المستشرقين بإعداد دراسات استغرقت أشهرا أو سنوات تحت الرعاية المباشرة لدولهم، فكانوا موظفين عملوا بإخلاص منقطع، ومنهم من دفع حياته ثمنا لذلك، ورغم الخطر الذي يمكن للمستشرق أن يصطدم به إلا أن ذلك لم يثن من عزائمهم[2].

إنه مما يؤكد الخدمة الجليلة التي قدمها الاستشراق للحركة الاستعمارية أن جيوش الاستعمار عند دخولها غازية توزع المناشير على الأهالي ويتولى تحريرها مستشرقون ضالعون في اللغة والأدب فيها من البيان والبديع والأسجاع ما يشنّف الأسماع يتم بواسطتها تحضير شعوب الدول المعرضة للغزو نفسيا[3].

---

[1] اللورد كرومر L. Cromer (1841- 1917م) مستشرق و دبلوماسي بريطاني، شغل منصب مندوبا ساميا في مصر، كان من منظري الفكر الاستعماري في العصر الحديث، و ترك أثرا بارزا في الحياة السياسية بمصر، من آثاره تقارير عن مصر الحديثة، انظر: العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 499.

[2] الزيادي، مرجع سابق، ص 39 و ما بعدها (نماذج لمستشرقين خدموا الاستعمار بإخلاص منقطع).

[3] جاء في رسالة خطّتها أقلام الاستشراق إثر الغزو الايطالي لطرابلس الغرب ما نصه: « ...إرادة الله و مشيئته سبحانه قضت أن تحتل إيطاليا هذه البلاد، لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يريد فهو مالك الملك و هو على كل شيء قدير، فمن أراد أن يظهر في الكون غير ما أظهره مالك الملك رب العالمين المنفرد بتصرفاته بملكه الذي لا شريك له فيه، فقد جمع الجهل بأنواعه و كان من الممترين، و بناء عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى و يسلم بما تعلقت به الإرادة الربانية و أبرزته القدرة الإلهية، فالملك له سبحانه و تعالى يؤتيه من يشاء ...» انظر:
- مجلة الهلال، السنة 93، عدد 3 (1 مارس 1986م)، ص 49.

ومما يجدر ذكره أن الكثير من المستشرقين كانوا ضباطا في جيوش الغزو، ونذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر الضابط الإنجليزي لورنس[1]، الذي حرّض العرب على الثورة ضد الخلافة العثمانية، ومالكوم جون[2] الخبير في شؤون بلاد فارس، والفرنسي ليفي بروفنصال[3] وغيرهم.

لقد ركز المستشرقون على مسألة إثارة النعرات وإذكاء الصراعات المذهبية والطائفية عملا بمبدأ فرّق تسد، وهذا حتى يسهل على الاستعمار احتواء الوضع وبسط السيطرة في جو من التفرقة والمشاحنات والحروب الأهلية الطاحنة التي كان الشرق ولا يزال ميدانا لها.

إن جهود هؤلاء المستشرقين أبرزت عمق العلاقة بينهم وبين الاستعمار الأوربي، ولعل أصدق مثال يمكن أن يوصف به أولئك المستشرقون أنهم مهّدوا الطريق أمام الاستعمار كما تُمَهِّدُ الدبابات الطريق أمام زحف المشاة في فنون الحرب[4].

ويعترف بعض المستشرقين المنصفين[5] بهذا الدور المشبوه، فالاستشراق عمل لصالح الاستعمار بدلا من إجراء التقارب بين الثقافتين، إن إنشاء هذا العلم لم يكن لدوافع سامية بل لتقديم أدوات الاختراق، فهناك عملية ثقافية مستترة وماكرة ومرائية، وهو ما يفسّر ريبة المسلمين حيال مواقف الغرب من الإسلام بوجه عام.

---

[1] لورنس توماس إدوارد Lawrence. T.E (1888- 1935م) مستشرق و ضابط بريطاني، لقب بلورنس العرب ساهم في الثورة العربية ضد الأتراك و اشتغل مستشارا للأمير فيصل بن الحسين، عاد بعدها إلى إنجلترا و اشتغل في سلاح الجو الملكي، له مذكرات بعنوان: أعمدة الحكمة السبعة، انظر: العقيقي، مرجع سابق، ص ص 511- 512.

[2] جون مالكوم J. Malcom (1769- 1833م) مستشرق و عسكري و دبلوماسي و مؤرخ بريطاني من أسكتلندا، عمل في شركة الهند الشرقية البريطانية، اهتم باللغات الشرقية و تخصص في اللغة الفارسية و عمل مترجما، ترك مؤلفا قيما هو تاريخ فارس في جزأين، انظر عنه: العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 477.

[3] ليفي بروفنصال L. Provençal (1834- 1956م) مستشرق فرنسي عمل في الجيش الفرنسي و اشترك في الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية و ألمانيا في حرب الدردنيل، تقلد عدة مناصب سياسية و علمية و له إنتاج غزير خاصة في تاريخ الغرب الإسلامي، انظر: العقيقي، المستشرقون، ص 654.

[4] محمد الغزالي، دفاعا عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، ط7، القاهرة 2005م، ص3.

[5] بيانكا ماريا سكارسيا، العالم الإسلامي، ترجمة سمير سعيد، دار ابن خلدون، القاهرة 1984م، ص 214.

- **الدافع الاقتصادي:**

احتاجت الدراسات الاستشراقية إلى مصادر تمويل مختلفة، إذ ليس من اليسير تغطية نفقات الرحلات والبحوث وإعداد المؤلفات والحصول على بعض متطلبات الحياة وتكاليف الطباعة الباهضة وهكذا أنفقت الدول الغربية بسخاء على هذه الأعمال التي رأت فيها فائدة عظيمة لفرض السيطرة، وهو ما دفع أحد المستشرقين للاعتراف بهذا الدعم اللامحدود قائلا: «...ونحن جميعا...نعترف شاكرين بأن..الحكومات (وضعت) تحت تصرفنا الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا ..في هذا المضمار...»[1].

وبالمقابل ساهم المستشرقون في الحركية الاقتصادية لبلدانهم، فالغرب وفي أعقاب الثورة الصناعية خلال النصف الثاني من القرن 18م كان في حاجة ماسة إلى الموارد الأولية لتغذية الصناعة، ومن ثمة البحث عن أسواق تجارية واعدة لتصريف فائض الإنتاج، وهكذا كان على الأوربيين التعرف على المناطق التي كانت تتوفر على المواد الخام والأسواق الفسيحة، فنشطوا حثيثا في استكشاف الشرق الإسلامي ودراسة طبائع ولغات ولهجات وإثنيات هذه المناطق، وأنيط هذا الدور للمستشرقين الذين تمكنوا من أدائـه بامتياز.

ساهمت الدراسات الاستشراقية في معرفة ذهنيات شعوب الشرق وما يمكن أن يحتاجوا إليه من مواد[2]، وتحققت فكرة الشرقي المستهلك النهم، فتقلص الإنتاج المحلي وتراجع معه اقتصاد المسلمين الذين كانوا حتى القرن 15م قوة اقتصادية لا يُستَهان بها.

لقد كان هذا إيذانا بسيطرة الغرب على الشرق واختلال التوازن الاقتصادي، واستمرت معه عملية الاستنزاف وزادت هوة التبعية عمقا، وفقا لدراسات متجددة يقوم بها مستشرقون من ذوي الباع والاطلاع، ويشير المفكر إدوارد سعيد إلى هذه العملية بالقول: «...فالعالم العربي أو الإسلامي

---

[1] بارت، الدراسات العربية و الإسلامية،..، ص 30.

[2] الزيادي، مرجع سابق، ص 45.

عامة عالقٌ في صنّارة نظام السوق الغربي...(وبروز) حقيقة طغيان الاستهلاكية في الشرق...»[1] وكان هذا الأمر أكبر انتصار للاستشراق من وجهة النظر العملية[2].

- **الدافع العلمي:**

أقبل بعض المستشرقين على دراسة علوم الشرق وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم بدافع علمي بقصد الاستفادة منه والاستزادة من مختلف العلوم والمعارف، وظهر ذلك من خلال البعثات والرحلات والجمع والتحقيق والفهرسة، فكتبوا بروح عملية بعيدة عن التعصب، ونذكر أبرز من مثّل هذا الاتجاه المستشرقة لورافيشيا فاغليري[3]، وليوبولد فايس[4] الذي اهتدى إلى الإسلام بعد تأمل عميق وتَلقّب بمحمد أسد، وشارك في مقاومة الشيخ عمر المختار في طرابلس الغرب ضد الاستعمار الإيطالي، ويوهان ريسكة[5] اللغوي الضّليع.

و رغم وجود بعض الأخطاء في كتابات من سار في هذا الاتجاه و الاختلاف في وجهات النظر إلا أننا نُثمِّن ما قاموا به من جهود، و لنا أن نعترف بأن الاستشراق العلمي كشف لنا كنوزا من التآليف و المخطوطات الشرقية الجديرة بالاهتمام والتنويه.

يمكن القول أن القرن 19م كان إطارا مميزا لازدهار الاستشراق العلمي، الذي تفطن له نابليون عندما شن حملة عسكرية ذات أبعاد مختلفة، و فتح المجال واسعا لطائفة من المستشرقين

---

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق...، ص 321

[2] أدت دراسات المستشرقين الرحالة إلى تراجع دور المسلمين بشكل تدريجي، بعد أن جُرِّدوا من دورهم الريادي باعتبارهم همزة وصل بين الشرق الأقصى موطن البهارات و التوابل و الحرير، و بين أوربا التي كانت سوقا استهلاكية لتلك المواد، و مع اكتشافهم لمناطق جديدة و سيطرتهم على مفاتيح البحار جرى تطويق العثمانيين تجاريا و عبر مراحل بداية من القرن 16م.

[3] لورا فيشيا فالييري L. Veccia Vaglieri (1893-1989م) مستشرقة و أكاديمية إيطالية اهتمت بالتاريخ الإسلامي، امتازت كتاباتها بالإنصاف، تولت تدريس اللغة العربية في جامعة نابولي من مؤلفاتها: رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر، محاسن الإسلام، دفاع عن الإسلام انظر: العقيقي، المستشرقون، ج1، ص 404.

[4] ليوبولد فايس Léopold Weiss (1900م-1992) مستشرق و مفكر و لغوي و صحفي نمساوي و مصلح و مترجم و دبلوماسي و رحالة يهودي أعلن إسلامه، اهتم بتصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام، ترك أعمالا ذات أهمية منها: الإسلام على مفترق الطرق، مبادئ الدولة و الحكومة في الإسلام، الطريق إلى مكة، انظر: العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 642.

[5] يوهان ريسكه Johann Reiske (1716- 1774م) مستشرق ألماني، و لغوي و أكاديمي مختص في الدراسات البيزنطية، له ولعٌ باللغة العربية فاهتم بتحقيق النصوص و نشرها، من آثاره: نشر تاريخ أبي الفدا باللغة العربية من ترجمة لاتينية، و قام بترجمة لامية العجم للطغرائي، انظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط3، بيروت 1993م، ص 205 و ما بعدها.

للتنقيب و البحث و الاكتشاف، و قد تناولت دراسات المستشرقين موضوعات شتى في اللغات و الآداب و الفنون و التاريخ و الجغرافيا و الأنثروبولوجيا و الآثار[1].

أما في القرن 20م فقد وصل الاستشراق العلمي مرحلة من دراسة الشرق في وضعه الراهن و اتجاهاته المعاصرة و العناية خصوصا بالعالم الإسلامي و الحركات الإصلاحية و النهضوية و مظاهر التأثير و التأثر و ألوان التفكير مسّ جوانب مختلفة كالفقه و التشريع و المجتمع و الاقتصاد و أنظمة الحكم[2].

لقد شكّلت الدوافع المختلفة سابقة الذكر في جملتها مَعِينا للمستشرقين، فهناك من دفعته الظروف التاريخية للبحث في شؤون الشرق، و هناك من دفعته الحاجة المادية، و منهم من كُلِّف بمهام فكان عليه القيام بها على الوجه المرضي لحكومة بلاده و شعبه لتحقيق أغراض استعمارية إمبريالية، كما هناك من دفعته الرغبة الشخصية في اكتشاف الشرق و معرفة مكنوناته و أسراره، إن هذه الدوافع مجتمعة أدت إلى ظهور الاستشراق كظاهرة إنسانية جديرة بالتأمل مُشَكِّلة مرحلة من العلاقات بين الشرق و الغرب كخطين متوازيين لكل منهما اهتماماته و توجُّهاته.

[1] العقيقي، المستشرقون، ج2، ص ص 430- 431.

[2] الخربوطلي، المستشرقون و التاريخ الإسلامي، ص ص 93-94.

المحاضرة الثالثة: فئات المستشرقين و موقف أهل الشرق منهم

أ- فئات المستشرقين:

اختلف الباحثون في تصنيف المستشرقين، فهناك من صنّفهم من خلال تعصُّبهم و إنصافهم و هناك من قام بتصنيفهم حسب اهتماماتهم و اختصاصهم، و منهم من صنّفهم من حيث الزمن و الاتجاه العام إلى غير ذلك من التصنيفات، و فيما يلي تصنيف اجتهدنا في وضعه على سبيل المثال لا الحصر:

- صِنْفٌ كتب عن الشرق عامة و الإسلام خاصة بروح عدائية و حقد دفين محلّقا بعيدا عن مناهج البحث العلمي، و متأثرا بالنزعة الدينية الصليبية التي غذتها ترسبات التاريخ منذ عصر المواجهات الأولى بين الشرق و الغرب، و ازدادت قَتَامةً خلال الحكم العثماني و احتكاكه بأوروبا منذ منتصف القرن 15م.

- صِنْفٌ راعى الروح العلمية في كتاباته عن التاريخ و التراث الإسلامي منذ ظهور الإسلام و حتى العصور المتأخرة مُبتَعِدا عن النزعة الشوفينية التي غذّتها الكنيسة، و أبدى هذا الصنف إعجابه بالإسلام دينا و دولة، لكن مع ذلك لم تَسلَم كتاباتهم من الخطأ عن قصد أو عن غير قصد، و من هذا الصنف من أسلم و منهم من لم يتعدَّ حدود الإعجاب بالإسلام و المسلمين من حيث المعاملة و التسامح، لكن هدفهم الأساسي كان بقصد إفادة الأمم الغربية التي تروم معرفة كل ما يمت بصلة للشرق و للإسلام و المسلمين.

- و منهم صِنْفٌ كتب بصدق و قام بدراسة الإسلام بعمق حتى اقتنع بتعاليمه السمحة، فدافعوا عن الإسلام بأقلامهم و أفعالهم رغم صعوبة المهمة و نظرة الغرب لهم و من أمثلة هؤلاء كثيرين،

و لنا أن نذكر منهم المجري جرمانوس[1] و الإنجليزي هيدلي[2]، و منهم من تسمّى بأسماء إسلامية و نبذ الإرث الغربي الذي نأى بثقله على عقولهم لعقود من الزمن.

ب- موقف أهل الشرق منهم:

يمكننا القول أن النظرة الشرقية للاستشراق لم تكن أحادية من حيث الموقف، فقد تحكمت فيها ظروف معينة، لذلك كان من أهل الشرق من رأى في المستشرقين باحثين عاديين فلم يشعروا نحوهم بأي خطر، كونهم مسالمين و يعملون في هدوء بعيدا عن الصخب الإعلامي، لكن البعض الآخر يرى فيهم شرا مُسْتَطِيرًا لارتباط أكثرهم بمصالح دولهم التي تُضْمِرُ السوء للشرقيين و تَرْمُقُهُم بنظرة دونية، و على هذا الأساس يمكننا تمييز موقفين:

الموقف الأول: و هو موقف عدائي، فهم يرون أن كل ما يأتي من ناحية الغرب (أوروبا و أمريكا) تنبعث منه مشاعر سلبية، كون الغرب على عداء خالد خلود السموات و الأرض مع العالم الإسلامي على وجه الخصوص، و الإنتاج الاستشراقي ما هو إلا لخدمة الاستعمار فالصراع بين الطرفين هو حتمية مطلقة، لذلك وجب التوجس منهم خيفة.

إن روح الكراهية التي خلفتها الصراعات الطاحنة و الدور الاستعماري للاستشراق الذي ما فتئ ينمو تحت مظلة الغرب، و حملات التنصير التي نجم قرنها في البلاد الإسلامية، و التشكيك في تاريخ المسلمين و عقيدتهم و مسلماتهم، كل هذا زاد من هوة الشّرخ بين دفّتي العالم.

---

[1] عبد الكريم جرمانوس Germanus (1884-1979م) مستشرق مجري، تعلم اللغتين العربية والتركية على المستَشرِقَيْن فمبيري و غولدزيهر، تابع دراسته في إسطنبول وفينا سنة 1906م، عين سنة 1912م أستاذا للغات الشرقية في جامعة بودابست، ثم رئيسا للقسم العربي بها سنة 1948م ومدرسا للغة العربية والثقافة الإسلامية، انتقل إلى الهند وعين مدرسا في جامعتها، وهناك أعلن إسلامه في مسجد دلهي الأكبر وأطلق على نفسه اسم عبد الكريم بدلا عن اسمه السابق غيولا Gyula نال عضوية المجمع الإيطالي والمجمع اللغوي بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي، من آثاره: الأدب العثماني بالألمانية وقواعد اللغة التركية، والأدب التركي الحديث، والتيارات الإسلامية الحديثة بالإنجليزية، ومقالات عن تركيا والقومية العربية وغيرها، انظر عنه بإسهاب: العقيقي، المستشرقون، ص ص 910-912.

[2] البارون هيدلي Baron Headley (1855-1935م) ينحدر من أسرة نبيلة وسلالة ملوك من شمال ويلز، درس الهندسة في جامعة كامبريدج وله شغف بالملاكمة، اشتغل في إنشاء الطرقات في الهند، أسلم سنة 1913م في حفلة للجمعية الإسلامية بلندن و أطلق على نفسه اسم رحمة الله الفاروق، ونشر قصة إسلامه في مقال بعنوان لماذا أسلمت؟ على صفحات جريدة The Observer بتاريخ 23 نوفمبر 1913م، أسس الجمعية الإسلامية البريطانية سنة 1914م، من آثاره: رجل من الغرب يعتنق الإسلام، ثلاثة أنبياء عظماء العالم، عن آرائه وانطباعاته انظر: المنار، مج 17، ج1 (28 ديسمبر 1913م)، ص ص 34- 40 (بتصرف).

و في العصر الحديث استمرت هذه النظرة السلبية اتجاه الاستشراق من منظور ديني و تجددت في الجانبين الاستعماري و السياسي، و كان أبرز من نظر إلى هذا الرأي في الفترة المعاصرة المفكر إدوارد سعيد الذي ربط بين الاستشراق و الاستعمار بشكل وثيق[1].

الموقف الثاني: تميز هذا الموقف بالاعتدال رغم علمهم بنوايا بعض المستشرقين الهدامة، فاطلاع أنصار هذا الرأي على مؤلفات الغربيين و استقرارهم في أوروبا و أمريكا جعلهم ذوو معرفة ودراية واسعة بالفكر الغربي، بل و تبنوا بعض النظريات التي طرحها مستشرقون بما أنها لا تتعارض مع اعتقاداتهم، و لنا أن نورد رأيا لواحد من هؤلاء يقول: « ...يجب أن نكون واعين ... بأن اهتمامهم (المستشرقين) بهذا التراث سواء على مستوى التحقيق و النشر أو على مستوى الدراسة و البحث لم يكن في أي حال من الأحوال و لا في أي وقت من الأوقات من أجلنا نحن العرب و المسلمين، بل كان دائما من أجلهم هم، و إذن يجب أن نتعامل معهم على هذا الأساس، و إذا شعرنا في وقت من الأوقات بضرورة الرد عليهم، فيجب أن يكون ذلك لا بصبّ اللعنات عليهم من الخارج، بل بتحليل فكرهم من داخله و الكشف عن دوافعه و أهدافه...»[2].

---

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق...، ص 29.

(لا يجوز التعميم بهذا الشكل رغم اقتناعنا نسبيا بوجهة نظر إدوارد سعيد، ذلك أن العديد من المستشرقين على قلتهم أنصفوا التاريخ و الحضارة الإسلامية، و تعرضوا للتهميش في دولهم عقابا لهم على مواقفهم الموضوعية في الجوهر و الشكل، فضلا على أن العديد منهم قاموا بجهود تُذكَر فتُشكَر في مجال البحث و تحقيق التراث و حفظه من الضياع).

[2] محمد عابد الجابري، الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية طبيعتها و مكوناتها الإيديولوجية و المنهجية، الجزء الأول، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، الرياض 1985م، ص 335.

المحاضرة الرابعة: مناهج المستشرقين

إن في ذكرنا لجملة المناهج التي طبقها المستشرقون لا ندّعي أننا أحطنا خبرا بكل حيثياتها بل أشرنا إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر، فدراسة مناهج المستشرقين أمر صعب للغاية، ولا يمكن أن يجتمع هؤلاء على منهج بعينه و أن يخصص لكل منهم منهجا خاصا به، و ذلك لاختلاف توجّهات المستشرقين و خلفياتهم و أهدافهم المعرفية، فمنهم المتدينون و منهم الملحدون و منهم السياسيون و غير ذلك و حتى اهتماماتهم كانت شتى، و من أجل ذلك فقد أشرنا إلى هذه المناهج على سبيل الاختصار حتى يسهل استيعابها و فهمها على الوجه المطلوب.

أ- منهج البناء و الهدم:

يعتمد على الجمع بين ضدين الأول هو البناء بإضفاء صيغ الإطراء و المدح و ذكر الايجابيات لبعض جوانب الدراسة، بحيث تكون هذه الجوانب ثانوية في الموضوع المراد البحث فيه، ثم اعتماد الضد الثاني المتمثل في الهدم الذي يقوم فيه المستشرق بتجريد البحث من أركانه الرئيسية لإسقاطه و هدمه[1].

ب- المنهج الاسقاطي:

يدرس المستشرقون من خلاله الظاهرة و في أذهانهم آراء لا مكان لها في الواقع، و مع ذلك يسعون لإيجاد صورة لها في أذهانهم فيضعون الفرضيات و يجدون لها الحلول مهما كان الأمر، و إن كانت الحادثة أو الظاهرة التاريخية موجودة فإنهم لا يتصورونها في أذهانهم بل يحاولون نفيها مهما

[1] محمد قدور تاج، الاستشراق ماهيته و فلسفته و مناهجه، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع، ط1، عمان 2014م، ص31.
أيضا: محمد جلال إدريس، الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة 2003م، ص ص 43-44.

بلغت صحتها، و ظهر أن تطبيق هذا المنهج أدى إلى صدور أحكام بعيدة عن البحث العلمي و أهدافه النبيلة[1].

ج- المنهج الفيلولوجي (التفكيكي):

يعتمد هذا المنهج في بناء الموضوع على النصوص التي يقوم المستشرق بجمعها، و يركز على جزئيات الموضوع، أو يعمل على تجزئة الموضوع المركب و تفكيك القضية الكلية إلى جزئيات متعددة ثم يتم عزل تلك الجزئيات عن ذلك المفهوم الكلي[2].

د- منهج الفرضية و الشك:

يتم إخضاع الواقعة التاريخية للشك أو نفيها دون تقديم أدلة، و افتراض وقائع و استنتاجات معينة، أي الشك في الحقيقة و تصديق الباطل و استخدام العبارات التي تثير الشك (ربما، فرضا، لعل...)، إن هذه النزعة المبالغ فيها تؤدي حتما إلى التقليل من قيمة و أهمية الحوادث التاريخية و تعري التاريخ، و نفي الجزئيات هو تمهيد لنفي الكليات[3].

هـ- منهج المطابقة و المقابلة:

ظهر عند المستشرقين المهتمين بتحقيق النصوص و التراث الإسلامي و نشره، و قد برعوا في ذلك إلى حد كبير، و كان جهدهم واضحا في البحث عن المخطوطات و الحصول عليها، و مما ساعدهم على ذلك قيامهم برحلات طويلة لجمعها و مقارنتها و حفظها من الضياع و فهرستها لكن

---

[1] تاج، المرجع السابق، ص ص 179-180.

[2] الجابري، الرؤية الاستشراقية...، ص 313.

[3] خليل، الاستشراق...، ج1، ص 169 و ما بعدها.

رغم تلك الجهود إلا أن ما يعاب عليهم، هو تطويعهم للنصوص التاريخية خدمة لأغراضهم غير البريئة[1].

و- المنهج التاريخي:

و يركّز على ترتيب الوقائع التاريخية و الاجتماعية و تبويبها و الإخبار عنها باعتبارها ظاهرة فكرية، لكن دراستهم جاءت ذاتية أكثر منها تاريخية، و حين طبّق المستشرقون هذا المنهج على الشرق الإسلامي خاصة فإنهم صنّفوه على نمط الفكر الغربي، فيتم تفسير كل حادثة على أنها ظاهرة تاريخية ذات أصول مادية و في ذلك تمييز و تعصُّب[2].

بدأ المستشرقون في الفترة المعاصرة يعيدون النظر في مناهجهم و كتاباتهم و التخلي عن الأفكار المتداولة في الفترة الحديثة و ما قبلها لصرف نظر المشككين في كتاباتهم و إخفاء أغراضهم الحقيقية، و هو ما أكده المستشرق مونتجمري واط[3] الذي أشار أن كتابات المستشرقين في عصر النهضة شابها الكثير من التشويه و الافتراء، لكن الوضع تغيّر مؤخّرا و أصبح ذكر الحقائق أمرا واردا لا يشوبه التحريف، و ذلك بعدما انتفى أثر تفوُّق المسلمين الذين تخلوا عن أسباب قوتهم و اتصالهم بدينهم و حضارتهم[4].

إن هذه النظرة لا تعني بالمطلق أن المستشرقين تخلّوا عن مبادئهم و أهدافهم المعادية للتاريخ و الحضارة الإسلامية، بل إن حملات العداء لا تزال ثابتة و مستقرة استقرار الأطواد، و ما سلوكهم هذا المسلك إلا لتجديد مناهجهم و أساليب عدائهم الأزلي.

---

[1] إدريس، مرجع سابق، ص 30.

[2] الحاج سالم ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية، ج1، دار المدار الإسلامي، ط1، بنغازي 2002م، ص9.

[3] مونتغمري وات William Montgomery Watt (1909- 2006م) مستشرق بريطاني، من أعمدة الدراسات العربية في جامعة أدنبرة باسكتلندا، من مؤلفاته: عوامل انتشار الإسلام، محمد في مكة، الإسلام والجماعة الموحدة، يعتبر من أبرز المستشرقين الطاعنين والحاقدين على الإسلام انظر: العقيقي، المستشرقون، ص 554.

[4] الزيادي، مرجع سابق، ص 120.

ز- المنهج الانتقائي:

يعتمد المستشرقون على فكرة أو وجهة نظر معينة مهما كان مصدرها و لو كان شاذا أو ضعيفا خدمة لوجهات نظرهم، و لا يلتفتون إلا إلى الصورة التي تتطابق مع مواقفهم، و في ذلك يقول المستشرق مكسيم رودنسون[1]: «... ينتقون ما يرونه بعناية و يتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كوّنوها...»[2].

لقد نقل المستشرقون الأخبار الضعيفة و الشاذة و أطلقوا أحكامهم بموجبها و قدموا الخطأ على الصواب و هدفهم هو إثارة الشكوك[3]، و أخطر ما في هذا المنهج التركيز على السلبيات و إهمال الإيجابيات، فقد انصرفت دراسات المستشرقين عن كل ما يتصل بنهضة الشعوب الشرقية و الإسلامية في العصر الحديث، و ركزت جهدها على القديم، كالفتن و التمرّدات و الحروب الأهلية و الدروشة و التصوف في جانبه السلبي، و عمدوا إلى تعظيم دور الفرق الدينية و استحداث أخرى في الفترة الحديثة و الاهتمام بها بشكل لا محدود.

اتجه بعض المستشرقين إلى دراسة الكثير من القضايا و تصويرها في أذهانهم على أنها الحقيقة التي على الجميع تصديقها، فيجعلون لها حيّزا في أذهانهم و يلتمسون لها الحلول، لكن إذا حدث عكس ذلك و لم يجدوا لها تصورا في أذهانهم فإنهم يحاولون نفيها رغم صحتها و واقعيتها[4].

---

[1] مكسيم رودنسون Maxime Rodonson (1915- 2004م) مستشرق فرنسي أستاذ بمدرسة الدراسات العليا فمديرها، من آثاره: مباحث في فن الطبخ عند العرب، محمد، الرأسمالية والإسلام، دانتي والإسلام وغيرها، انظر: العقيقي، المستشرقون، ص ص 328- 329 (بتصرف).

[2] جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، تراث الإسلام، ج1، تر محمد زهير السنهوري و آخرون، تعليق و تحقيق شاكر مصطفى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1978م، ص 54 و ما بعدها.

[3] جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام،، الجزء الأول، دار الحداثة، بيروت (د.ت.ط)، ص 10.

[4] تاج، مرجع سابق، ص 180.

إنّ تطبيق مناهج كهذه على الدراسات الشرقية عموما من جانب بعض المستشرقين أضرّ كثيرا بموضوعية البحث العلمي، و أدى إلى صدور أحكام جانبت الواقع و قلّلت من سمعة أولئك المستشرقين في ميدان العلم.

المحاضرة الخامسة: مظاهر النشاط الاستشراقي:

برز نشاط المستشرقين على مدى القرون الماضية في مجالات عدة، فاستخدموا العديد من الوسائل منها إنشاء المعاهد و المؤسسات التعليمية و مراكز البحث كما اهتموا بالمخطوطات و جمعها و البحث عن المظان و الحصول عليها بشتى الطرق و فهرستها و وضعها في مكتبات أوربا و سنحاول هنا التطرق إلى أوجه النشاط الاستشراقي و علاقته بالدولة العثمانية باعتبارها مجالا لدراستنا هذه:

أ- جمع المخطوطات و تحقيقها:

اهتم المستشرقون بنشر النصوص و التعريف بالمخطوطات، فاتجهوا في البداية إلى أصول الفنون و العلوم مستعينين بأهل اللسان العربي في تحرير النصوص، و البحث عن الكتب المتعلقة بالموضوع من كل جوانبه، و انحصرت جهود هؤلاء في التوثيق و الضبط و الفهرسة و التحقيق و الترجمة إلى اللغات الأوربية، و هكذا توافرت المخطوطات في المكتبات الأوربية عبر قرون من الجمع من المواطن الأصلية في البلاد الإسلامية التي كانت مجهولة القدر عند أصحابها الذين هم أولى الناس بها [1].

و مما يؤكد وجود معظم المخطوطات عند المستشرقين ما ذكره المستشرق إدوارد فان دايك[2] من أنّ ما يقارب ثلاثة أرباع المخطوطات تكاد تنحصر بمكتبات أوربا في برلين و فلورنسا و لايبزغ و كوبنهاغن و ليدن و لندن و باريس و روما و سان بطرسبورغ و فينا و غيرها، بينما لا يوجد في

[1] الخربوطلي، المستشرقون و التاريخ الإسلامي، ص 125.

[2] إدوارد فان دايك Ed.Van dyck (؟- ؟)، مستشرق أمريكي ولد في لبنان، درس في الجامعة الأمريكية في بيروت و تخرج منها، و عين أستاذا للغة للإنجليزية في جامعة القاهرة، من آثاره: إكتفاء القنوع بما هو مطبوع و هو عبارة عن فهرسة للكتب المطبوعة قديما و حديثا في الشرق و الغرب، و له أيضا تاريخ العرب و آدابهم انظر: العقيقي، المستشرقون، ج3، ص ص 993- 994.

مكتبات إسطنبول و القاهرة و دمشق إلا الربع منها[1]، و نعتبر هذا الأمر نائبة و نكبة بكل المقاييس و قد أسهمت عملية تحليل المضامين و النقد و الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف يرومها الغرب بشدة.

ب- تأليف الكتب:

إنه لمن الصعوبة بمكان إحصاء الكتب التي ألّفها المستشرقون عن الشرق بوجه عام، فعلى مدار قرون خلت عكفوا على التأليف و الطباعة و أنفقوا أموالا طائلة بجهود شخصية و بمساعدة دولهم التي خصصت لهم المطابع و أداروا دواليبها خدمة لأغراض مختلفة، و قد أحصى لنا بعض المهتمين أن عدد الكتب المطبوعة عن الشرق الأدنى فقط في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1800م و 1950م بلغ نحو ستين ألفا من الكتب[2] و هو عدد ليس بالهين، و لنا أن نتساءل كم ألّف أهل الشرق عن الغرب في ذات الفترة؟

ج- إصدار المجلات:

قام المستشرقون من أجل نشر بحوثهم بصيغة جماعية و بشكل دوري و منتظم بإصدار الكثير من المجلات بمختلف اللغات، و يقدّر عددها حتى الفترة المعاصرة نحو ثلاثمائة مجلة، إلا أننا سنقتصر على أهمها و أقدمها من حيث الظهور و التأثير و نوعية البحوث المقدمة و المنشورة وهي كالتالي:

- مجلة ينابيع الشرق التي ظهرت في فينا بين سنتي 1809 – 1818م.

- مجلة الإسلام L'Islam التي ظهرت بباريس سنة 1895م و هي مجلة استعمارية صميمة مهتمة بالشؤون الإفريقية و الدراسات الاستشراقية في مختلف المجالات، و خلفتها سنة 1906م مجلة العالم الإسلامي Revue du Monde Musulman الصادرة عن البعثة العلمية الفرنسية بالمغرب.

- مجلة الإسلام الألمانية Der Islam ظهرت سنة 1910م.

---

[1] إدوارد فان دايك، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع، دار صادر، بيروت 1896م، ص ص 4-5.

[2] إدوارد سعيد، الاستشراق...، ص 322.

– مجلة العالم الإسلامي The Muslim World ببريطانيا سنة 1911م و هي مرتبطة بالتبشير في منطقة الشرق الأوسط.

– مجلة العالم الإسلامي Mir Islama ظهرت في سان بطرسبورغ بروسيا سنة 1912م لكنها لم تُعمِّر طويلا.

و الملاحظ أن هذه المجلات ظهرت في تواريخ متقاربة زمنيا و هو ما يجعلنا نتأكد أن الدول الغربية كانت تتنافس على التأثير و السيطرة من جهة، و على التعاون المشترك ضد الإسلام الذي كانت تمثله الخلافة الإسلامية العثمانية في سعيها لتحقيق الوحدة في إطار الجامعة الإسلامية من جهة أخرى[1].

د– تأليف الموسوعات:

ظهرت دائرة المعارف الإسلامية بشكل منتظم منذ عام 1913م و ظلت تصدر حتى سنة 1938م، عالجت التاريخ الإسلامي بشمولية، و الوجه الخطير لهذه الموسوعة الضخمة أنها حوت الكثير من الأخطاء المتعمدة، و حاولت أن تبرز تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية و أنه لا مجال للمقارنة بينهما.

لقد أخضعت هذه الموسوعة التي صدرت باللغات الثلاثة الإنجليزية و الألمانية و الفرنسية التاريخ الإسلامي للتفسير المادي و استخدام التدليس في إخفاء و إظهار بعض الأحداث التاريخية حسب ما اقتضته مصالح الغرب و أهدافهم[2].

---

[1] حتى نتأكد من الطابع العدائي لهذه المجلات نذكر على سبيل المثال لا الحصر تحذير ورد في مجلة العالم الإسلامي الفرنسية من فكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها خطوة خطيرة على مصالح الغرب و من الواجب توخي الحذر، لأن السلطان عبد الحميد الثاني (1876–1909م) يرغب في الاستفادة من هذه الخطوة لقطع الطريق أمام التكالب الغربي ضد مصالح الخلافة و المسلمين، عن نظرة الاستشراق و موقفه من هذه الفكرة انظر بالتفصيل:

- Revue du Monde Musulman, Tome 1er, Ernest Leroux Ed, Paris 1907, pp 447-448.

[2] أنور الجندي، كيف يحطم المسلمون قيد التبعية و الحصار؟، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت 1985م، ص ص 75–76.

أطلق المستشرقون مصطلحاتهم و مفاهيمهم و تعميمها على التاريخ الإسلامي كوصف العصور الوسطى التي تقابلها عند الغرب عصور الظلام و التأخر الحضاري ، لكنها عند المسلمين فترة زاهية في جميع المجالات، و هكذا جعلوا المسلمين ينظرون إلى عصرهم المضيء بنظرة ظلامية [1].

و قد سعى مستشرقون معاصرون إلى إصدار طبعة جديدة تواصل الطريق التي سلكتها الطبعة القديمة أشرفت عليها جامعة إكسفورد ببريطانيا، و بذل الباحثون جهدا في إصدار طبعة مترجمة إلى العربية من الطبعة الأولى، فصدر منها حتى الآن ثلاثة عشر مجلدا.

إنه لمن كَوامِنِ الأسف أن تكون هذه الموسوعة التي حملت بين ثناياها الكثير من أنواع السموم الفكرية مرجعا للكثير من المسلمين الذين يعتبرونها خير ما اطلعوا عليه في شأن الثقافة و التراث و التاريخ الإسلامي، و هو ما يعتبر مظهرا من الجهل و عقدة نقص عند من يطلق عليهم بالمثقفين[2].

هـ- تأسيس الجمعيات الجغرافية:

أخذ علماء الغرب يحثون السعي لاكتشاف الشرق و البحث عن آثاره و التبحر في علومه و لغاته و استطلاع أدواره و دراسة عادات و أخلاق شعوبه على اختلاف أعراقهم، فاشتغل بعضهم في التنقيب عن الآثار القديمة و سعى البعض الآخر للبحث في اللغات الشرقية الحية و الميتة، و لما كانت قارة آسيا خصوصا هي مركز أبحاثهم فقد أطلق عليها الأبحاث الآسيوية، فشكلوا جمعيات لتضطلع بهذا الدور ضمّت في عضويتها الآلاف من الباحثين و المتخصصين، و نذكر من بين تلك الجمعيات:

[1] جمال سلطان، الغارة على التراث، ط1، مكتبة السنة، الرياض 1990م، ص 48.

[2] مصطفى السباعي، الاستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)، دار الوراق للنشر و التوزيع (ب.ت.م.ن)، ص 36.

الجمعية الآسيوية الفرنسية (Société Asiatique):

تأسّست في باريس سنة 1822م و عقدت أول جلسة لها في 20 أفريل من ذات السنة و تولى رئاستها كبار المستشرقين من ذوي الباع و اليراع و لها مكتبة غنية، و قد أصدرت لها مجلة متخصصة هي المجلة الآسيوية Journal Asiatique نشرت بحوثا في التاريخ و الفلسفة و العلوم و الآداب و اللغات الشرقية، كما أصدرت سلسلة بعنوان كراسات الجمعية الآسيوية ابتداءً من عام 1833م[1].

الجمعية الآسيوية الملكية الإنجليزية (Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland):

أنشئت سنة 1823م و جرى تثبيتها بقرار ملكي و خصصت أعدادها لترجمة بعض المؤلفات الشرقية، و في ظرف 27 سنة من إنشائها نشرت مائة مجلدا، و منذ عام 1834م أضحت مجلة الجمعية تصدر مرة كل ثلاثة أشهر في مجلد ضخم فيه خلاصة أبحاثها و تقاريرها عن الأمم الشرقية من أقصى شرق آسيا و شبه القارة الهندية إلى أقصى غربها (الدولة العثمانية)[2].

الجمعية الشرقية الأمريكية (American Oriental Society):

تأسّست سنة 1842م بمدينة بوسطن، و ضمت في أعضائها شخصيات علمية مرتبطة بالدراسات الشرقية و آخرون لهم علاقات وثيقة بالجمعيات التنصيرية خاصة في الشرق الأوسط اهتمت باللغات الإفريقية و الآسيوية بما في ذلك العبرية، و تبادلت المعارف و الخبرات مع غيرها من الجمعيات الناشطة في ذات الفترة، و أنشأت فروعا لها في بيروت (مدرسة الدراسات الأثرية

---

[1] بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 188.

[2] الهلال، المجلد6، عدد 4، 1 نوفمبر 1997م، ص 175.

و الإنجيلية)، و لهذه الجمعية مكتبة ضخمة تحوي الكثير من الوثائق و المخطوطات و لها مراسلون في الشرق يزودونها بالتقارير بشكل دوري[1].

كما يجدر بالذكر أن العديد من الدول الغربية سعت إلى تأسيس الجمعيات منها إسبانيا و البرتغال و الدول الاسكندينافية و النمسا و بلجيكا و سويسرا و المجر و هولندا و بولندا و روسيا و غيرها، و كان الهدف من ذلك دراسة الشرق بكل تفاصيله و الإلمام بعلومه و آدابه و اهتماماته، و تحقيق التعاون بين المستشرقين ضمانا لاستمرار أهدافهم و تطلعاتهم.

الجمعية الشرقية الآسيوية (Deutsche Morgenländische Gesellschaft):

تأسّست في هال سنة 1845م كرابطة رسمية بين المستشرقين الألمان و في عضويتها أعضاء شرفيون من علماء أوربا و آسيا و إفريقيا، اهتمت بدراسة التراث العربي و الإسلامي في الشرق الأوسط، و في عام 1948م أضحى مقرها في ماينز، و لها مكتبة غنية بالمخطوطات و المصنفات الشرقية، و أصدرت مجلات بصفة دورية و عقدت حلقات بحث و قامت بنشر أمهات الكتب العربية و التراث الإسلامي المحقق و كان لها فروع في الآثار و الدراسات، منها المكتبة الإسلامية (Bibliotheca Islamica) للمستشرقين الألمان في إسطنبول سنة 1918م[2].

كان لهذه الجمعية مجلة أطلق عليها المجلة الشرقية الألمانية (ظهرت سنة 1847م) و هي حولية من جزأين، و حصلت على دعم مادي كبير من ألمانيا و من الدول الاسكندينافية و هو ما يفسِّر استمراريتها في العمل بنشاط و انتظام[3].

---

[1] طارق سرى، المستشرقون و منهج التزوير و التلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذة، ط1، القاهرة 2006م، ص ص 54-45.

[2] العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 687.

[3] نفسه، ص 688، انظر أيضا: سرى، المرجع السابق، ص 56.

و- إلقاء المحاضرات:

دأب المستشرقون على إلقاء المحاضرات في الجامعات و المراكز الثقافية الغربية و الإسلامية في مختلف أنحاء العالم بعد تلقيهم لدعوات رسمية، إلا أن المثير في الأمر أن أولئك المستشرقين عندما يلقون محاضراتهم في الجامعات الإسلامية يتحدثون عن الإسلام في مختلف جوانبه بروح عدائية مبطنة أو مكشوفة، و الغريب في الأمر أن يتم استدعاء أكثر المستشرقين تطرُّفا و قدحًا في الإسلام لإلقاء محاضرات في جامعات القاهرة و دمشق و بغداد و كراتشي و لاهور و غيرها ليتحدثوا عن الإسلام بهذه الروح الحاقدة [1].

إن المستشرقين الذين يقومون بإلقاء المحاضرات ذات الطابع الفكري ظاهريا، إنما لكثير منهم مهام أخرى ذات ارتباط بالسياسة و أعمال الجاسوسية التي يخفونها، و لنا أن نتساءل لماذا لا يقدم المستشرقون دروسا في الطب و الفيزياء و الرياضيات و الفلك الذي تفوقوا فيه على المسلمين في العصور المتأخرة؟[2] إنّ ما كانوا يُدَرِّسونه لهو من صميم اختصاصنا، فهل يعقل أن ندرس ديننا و لغتنا عندهم؟

ز- عقد المؤتمرات:

منذ النصف الثاني من القرن 19م عكف المستشرقون على عقد مؤتمرات دولية مرة كل ثلاث إلى أربع سنوات بحسب الظروف و المستجدات السائدة آنذاك، و تُشْرِفُ على عقد تلك المؤتمرات لجان متخصّصة لوضع جدول أعمال و تحديد الإطار الزماني و المكاني لانعقادها.

---

[1] السباعي، مرجع سابق، ص 34.

[2] نذير حمدان، مستشرقون سياسيون- جامعيون- مجمعيون، مكتبة الحديث للنشر و التوزيع، ط1، جدة 1988م، ص 128.

وتضم تلك المؤتمرات المئات من المشاركين و فيهم الساسة و المستشرقون و حتى من أهل الشرق، فمثلا شارك في مؤتمرا إكسفورد بإنجلترا 900 عالما من 25 دولة و 85 جامعة و 69 جمعية علمية[1].

ولنا أن نحصي أهم المؤتمرات التي انعقدت في الفترة الممتدة ما بين 1873م و حتى عام 1928م[2]:

الترتيب	مكان الانعقاد	تاريخه	الترتيب	مكان الانعقاد	تاريخه
1	باريس	1873	**10**	جنيف	1894
2	لندن	1874	**11**	باريس	1897
3	سان بطرسبورغ	1876	**12**	روما	1899
4	فلورنسا	1878	**13**	همبورغ	1902
5	برلين	1881	**14**	الجزائر	1905
6	ليدن	1883	**15**	كونهاغن	1908
7	فينا	1886	**16**	أثينا	1911
8	ستوكهولم	1889	**17**	إكسفورد	1928
9	لندن	1892			

نلاحظ أن المستشرقين في هذه المؤتمرات كانوا يشكّلون لجانا أشبه بخلايا النحل من حيث النشاط و البحث بحسب اختصاصاتهم العلمية، و يقول أحد المهتمين بهذا الصدد: «...و نحن

---

[1] العقيقي، المستشرقون، ج3، ص 1103.

[2] حالت الحرب العالمية الأولى دون انعقاد مؤتمرات للمستشرقين في الفترة ما بين 1911 و 1928م، و تم استئناف انعقادها بعد أن وضعت الحرب أوزارها، عن تواريخ انعقاد مؤتمرات الاستشراق انظر:

- مجلة الزهراء، ج7-8 (1 يوليو 1927م)، ص 494.
- العقيقي، مرجع سابق، ص 1102.

(يجدر بنا الإشارة إلى أن هذه المؤتمرات لا تزال تنعقد، لكن ليس بنفس الصورة القوية التي كانت عليها خلال القرنين الماضيين).

نعجب من جَلَدِهِم و صبرهم على تتبّع بحوث كان الناطقون بالضّاد أولى بالتفرغ لها لو كان مستوانا العلمي أرقى مما نحن عليه الآن ...»[1].

لقد تَتَبَّع المستشرقون و تَحرَّوا في اجتماعاتهم تلك، حركة تأثير الغرب على الشرق و تأثير الشرق على الغرب في الماضي و الحاضر فاهتموا باللهجات و اللغات القديمة و الآثار المدفونة في أعماق الشرق فجاءت الدراسات التركية و العربية و الفارسية في المقدمة، و هو ما يجعلنا ندرك الأهداف البعيدة من تلك الأبحاث.

و اللافت للنظر حضور مندوب الدولة العثمانية في أحد هذه المؤتمرات (مؤتمر جنيف سنة 1894م) قدّم فيه ورقة بعنوان " كلمة حق على الإسلام و الدولة العثمانية"[2]، محاولا الدفاع عن الدولة العلية في فترة تميزت بالتكالب الغربي و محاولته التسريع باقتسام ما تبقى من أملاكها و إخراجها من دائرة الإسلام إلى العلمانية.

ح- كراسي اللغات الشرقية:

ظهرت منذ العصر الوسيط لكن عددها تضاعف منذ القرن 17م في أوربا، ثم انتشرت في الشرق بنفس الزخم و كانت اللغات الشرقية و خاصة العربية و التركية ذات أولوية، وكان المستشرقون يدرسون هذه اللغات في مجالات الآداب و العلوم و الفنون و مدى تأثرها والتراث الإنساني و أثرها فيه[3]، و هكذا فتحت أبواب المعاهد و الجامعات للدراسة بأساليب حديثة لم تكن معهودة من قبل عند كبار المستشرقين فتخرج على أيديهم جمع كثير ممن تولوا مناصب كأساتذة في الجامعات لينقلوا تجاربهم إلى تلامذتهم، لكن مَكْمَنُ الخطر يبرز هنا كون المادة العلمية التي تلقّوها في سنوات دراستهم

---

[1] مجلة الزهراء (1 يناير 1927م)، ص 495.

[2] قدّم نعمان بك ممثل الدولة العثمانية في المؤتمر مشاركة باللغة الفرنسية ترجمت إلى اللغة العربية وطبعت بمطبعة بولاق سنة 1897م تحت العنوان المذكور أعلاه من طرف محمد طلعت حرب أفندي أحد موظفي الإدارة في مصر، وصف فيها تاريخ الدولة العلية و خصّ بالذكر عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي أشار إلى جهوده في دفع عجلة العلوم و الفنون و دوره في الحركة الاقتصادية التي أضحت عليها الدولة في تلك الأيام، لتفصيل أكثر انظر:

المقتطف، السنة 22، الجزء الأول، 1 يناير 1898م، ص 61.

[3] العقيقي، المستشرقون، ج3، ص 1123.

على المستشرقين فيها الكثير من التزييف و التحريف و الدس، و هو ما ظهر في كتابات تلامذة المستشرقين في سنوات لاحقة و لهم من التآليف ما لا يحصى.

ط- المجامع العلمية واللغوية:

تعود أصولها إلى الفترة الحديثة، وكان الفرنسيون السباقون إليها ففي القرن 17م ظهرت الأكاديمية الفرنسية بهدف إعداد معجم شامل للغة الفرنسية و قواعدها و نحوها و صرفها، و تسلّلت الفكرة إلى الشرق في أعقاب حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م بعد أن تأسس مجمع علمي لتسمية المخترعات و الآلات الحديثة بمصطلحات عربية، و انتشرت فكرة إنجاز مجامع ذات طابع علمي و لغوي في الأقطار الشرقية أشهرها مجمعين هما:

- **المجمع العلمي العربي بدمشق:**

نشأ أساسا بعد الانقلاب العربي على الحكم العثماني، و ربما كان ذلك بإيعاز من الفرنسيين ترأسه محمد كرد علي الذي نسج علاقات واسعة مع كبار المستشرقين آنذاك ممن تولوا العضوية في المجمع، و ضم في عضويته أيضا مفكرون من الشرق من أمثال الشيخ طاهر الجزائري (1851-1920م) و عيسى إسكندر المعلوف (1869- 1956م) و عبد القادر المغربي (1867-1956م) و غيرهم، عقد أول جلساته في 30 جوان 1919م، و تم إنشاء مكتبة للمجمع تضم من الكتب و المخطوطات نحو ثلاثة آلاف مجلدا و بعض الآثار المادية و كانت تقدم في المجمع أيضا دروسا باللغتين العربية و الفرنسية.

أصدر المجمع مجلة باسم مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق نشرت مقالات كثيرة ذات فائدة في مختلف العلوم و الفنون، و أعلنت عن هدفها المتمثل في نشر المخطوطات و إحيائها و تعريب كتب العلوم و الصناعات و الفنون[1] عن اللغات الأوربية و التأليف، ارتفع عدد أعضاء

[1] مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الأول، الجزء الأول (1 كانون الثاني 1921م)، ص ص 2-8.

المجمع عام 1938م إلى 114 عضوا بين عمال و مشرفين نصفهم غربيون، و اللافت للنظر هو تسرّب بعض الساسة و الدبلوماسيين و العسكريين إلى عضويته وجلساته[1].

- **مجمع اللغة العربية بالقاهرة:**

تأسس سنة 1932م باسم المجمع الملكي و كان يرأسه محمد توفيق رفعت باشا (1870-1944) تألف في بدايته من عشرين عضوا مراسلا، و ازداد عددهم بعد ذلك إلى 31 ثم إلى 42 عضوا.

و لما تشكّلت أول لجنة كانت مؤلفة من 15 عضوا عربيا و خمسة أعضاء أجانب من المستشرقين، و تألفت اللجان بالشكل التالي: الرياضيات، العلوم الطبيعية و الكيميائية و علوم الطب و الحياة و العلوم الاجتماعية و الفلسفية و الآداب و الفنون و المعجم و اللهجات، المجلة، خزانة الكتب و الميزانية و الشؤون العامة [2].

و أصدر المجمع مجلة خاصة به باسم مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ظهر أولى إعدادها في شهر أكتوبر 1934م، و كان عددا غنيا لما حواه من مقالات مفيدة، منها مقال لرئيس تحريرها بعنوان " تاريخ المجامع " أشاد فيه بدور فرنسا في تأسيسها و انتشارها بعد ذلك في الغرب الأوربي و الشرق الإسلامي[3].

و في عام 1952م ثم الاتفاق على إنشاء جماعة الدراسات الشرقية باقتراح من المستشرق جب[4]، الرامية إلى نشر البحوث الشرقية الممتازة و الاتصال بالهيئات العلمية للمستشرقين في الخارج و تنظيم لجان علمية و فنية تضطلع بالدراسات الشرقية.

---

[1] حمدان، مستشرقون ...، ص ص 141-142.

[2] مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، الجزء الأول (أكتوبر 1934م)، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة 1935م (فهرس).

[3] نفسه، ص ص 170-176.

[4] هاملتون جب H. Gibb (1895- 1971م) ولد بالإسكندرية و توفي في إكسفورد، تعلم في أدنبرة ثم التحق بجامعتها لدراسة اللغات الشرقية، شارك في الحرب العالمية الأولى و بعدها التحق بجامعة لندن كأستاذ كرسي، يعتبر من أبرز محرري دائرة المعارف الإسلامية، تولى التدريس في أكسفورد ثم التحق بهارفارد من مؤلفاته: فتوح العرب في آسيا الوسطى، الأدب العربي، المجتمع الإسلامي و الغرب، تحدث في جزئه الأول عن تركيا =

كما اشترك المجمع الملكي المصري في الاتحاد المجمعي الدولي الذي اتخذ من بروكسل مقرا له، و الهدف هو التنسيق و التعاون عن طريق البحوث المشتركة [1].

= والبلاد العربية التابعة للحكم العثماني (بالاشتراك مع هارولد بوون)، الاتجاهات الحديثة في الإسلام انظر عنه: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ص 174-175.

[1] حمدان، مرجع سابق، ص 185.

المحاضرة السادسة: الاستشراق و التبشير (التنصير)

إنّ التّبشير في أصله اللغوي مُشتقٌّ من البُشْرَى، و البِشَارَةُ من فعل بِشْرٌ و أَبْشَرَ أي أَخْبَرَ خَبَرًا مُفْرِحًا أو مُحْزِنًا[1]، أما المعنى الاصطلاحي فالمقصود به سعي الغرب لنشر الديانة المسيحية بين الأمم الشرقية تحديدا، و هو نشاط هدفه تحويل الفرد عن عقيدته إلى النصرانية[2].

برز هذا النشاط في أعقاب الحملات الصليبية التي فشلت في تحقيق أهدافها، و تراجع الحشود و الجيوش المسيحية أمام الإسلام، و من هنا ظهرت فكرة استمالة المسلمين بالطرق السلمية و الودية التي حلّت محلّ السيوف و الرماح [3].

استفاد التبشير من الاستشراق الذي ظهر في بدايته للوقوف في وجه مسلمي الأندلس، فأقبل المبشرون على الاستشراق واطلعوا على لغات الشرق و علومه كي يتسنى لهم فهم الإسلام و المسلمين [4].

إننا هنا لا نهدف إلى تتبُّع جذور التنصير، بل إلى الإشارة إليه في الفترة الحديثة، فهدفنا هو دراسة ارتباطه بالعالم الإسلامي في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية، و لنا أن نستشهد برأي أحد أعمدة التبشير في العصر الحديث الذي أوضح المقاصد الحقيقية لنشر المسيحية ألا و هو القسّ صامويل زويمر[5]، و هو مستشرق له باع في النشاط التبشيري و التأليف، نشر كتابا بعنوان العالم

---

[1] جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج2، دار صادر، 3، بيروت 1414هـ، ص 90.

[2] عبد الرازق عيسى، التنصير الأمريكي في بلاد الشام 1834- 1914من مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 2005م، ص 17.

[3] عبد الودود شلبي، أفيقوا أيها المسلمون، الدار السعودية، جدة 1981م، ص 17.

[4] محمد البهي، الفكر الاسلامي و صلته بالاستعمار الغربي، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة 1981م، ص 430.

[5] صمويل زويمر S. Zwemer (1867- 1952م) مبشّر و مستشرق من أصول فرنسية هاجرت إلى هولندا، تولى تحرير مجلة عالم الإسلام، أبدى منذ عام 1888 اهتمامه بالنشاط التبشيري في البلاد العربية و استطاع تأسيس جمعية لهذا الغرض، طاف العديد من البلدان العربية و الإسلامية و اتخذ من البحرين مركزا لنشاطه من مؤلفاته: يسوع في إحياء الغزالي، بلاد العرب في الإسلام، و مقالات في مجلة عالم الإسلام، انظر عنه:
- ناصر بن إبراهيم بن عبد الله آل تويم، صمويل زويمر حياته وجهوده التنصيرية، مطبعة العبيكان، ط1، الرياض 2017م، ص ص 21- 37 (بتصرف) أيضا: العقيقي، المستشرقون، ص 1005.

الإسلامي اليوم و هو مجموعة من التقارير و المباحث التاريخية و الاجتماعية كتبها مبشّرون لاستقصاء أحوال المسلمين المستهدفون بالتبشير و نشر خلاصة أعمالهم[1]، و يقول في هذا الشأن:

« ...أنّ الله ... قصد أن تكون مملكة المسيح بدون حدود، و أن تكون حروبه خالية من شروط الحياد عند أية أمة، و هناك مواعيد كتابية بنجاح هذه المشروعات التبشيرية، كذلك فالله يحب العالم الإسلامي لأنه لا يزال بعيدا عنه، فتَحِنُّ أحشاؤه الأبوية على حالتهم المسْتَحَقَّةِ لرأفته و شفقته...» [2].

أ- دوافع النشاط التبشيري:

ساهمت دوافع متعددة في تصاعد حركة التنصير في العالم الإسلامي خلال العصور الحديثة خاصة في فترة ضعف الدولة العثمانية و تكالُب الغرب على أملاكها، و من بينها:

- **الدافع الديني:**

إن هذا الدافع هو المنطلق لدعاوى التبشير في العالم عموما و البلاد الإسلامية على وجه التحديد، مستندين إلى الأناجيل التي كانت تدعو إلى أن يَصْدَحَ المسيحي بتعاليمه و أن يُلَقِّنَ هذا الدين للتلاميذ و تعميدهم باسم الأب و الابن و الروح القدس [3]، إذا فالروح الدينية كانت شاحنا قويا للمُنَصِّرين دفعتهم لتشكيل جمعيات و إرساليات وفق ما اعتقدوا أنها تعاليم الكتاب المقدس.

- **الدافع السياسي و المادي:**

قام المبشرون بأعمال سياسية خدمة لمصلحة الديانة المسيحية الغربية و أطماعها في الشرق، و بالتالي شكلوا سواعد لحكومات بلدانهم، و التقت مصلحة المبشّرين مع مصالح الساسة المستعمرين الذين وفّروا الحماية القصوى لأفواج المبشرين[4]، الذين اختاروا الدولة العثمانية كمنطقة مستهدفة

---

[1] الميداني، المرجع السابق، ص 67.

[2] صامويل زويمر، طريق المحبين إلى قلوب المسلمين، اللجنة التبشيرية للإرساليات الأمريكية، القاهرة (د.ت.ط)، ص 9.

[3] عيسى، المرجع السابق، ص 19.

[4] مصطفى الخالدي و عمر فروخ، التبشير و الاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العلمية، بيروت 1953م، ص 15، انظر أيضا =

بالغزو الفكري و السياسي، و أصبح الدين في خدمة السياسات الغربية و أطماعها الاقتصادية في الحصول على معلومات عن طريق التجارة و التغلغل المادي [1].

- **الدافع الحضاري:**

احتاج المَنَصِّرون إلى إخفاء الوجه الحقيقي لهم حتى يظهروا بوجه حُماة الحضارة و ناشروا الخير في ربوع العالم، حتى يكسبوا قلوب الأمم الشرقية التي كانت و لا تزال تَرْمُقُهم بعين الرّيبة، و الواقع أن تنظيرهم لفكر الرجل الأبيض الساعي إلى نشر الحضارة و إذاعتها في صفوف الجَهَلَة و الأجلاف من الناس ما هو إلا امتداد لصراع حضاري بين الشرق و الغرب حُكِمَ عليه بطابع الاستمرارية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

ب- التبشير في البلاد العثمانية:

شكلت الدولة العثمانية لقرون متواترة حجر عثر أمام الأطماع الأوربية، لذلك كان على الغرب الأوربي البحث عن الآليات المناسبة لإضعافها و تفكيكها و لم يكن ذلك أمرا سهلا، فهو يحتاج إلى تخطيط محكم و استغلال للظروف المناسبة لتطبيق هذا المشروع على الأرض.

كان القرن 19م مجالا خصبا للمبشرين في الدولة العثمانية و ولاياتها العربية خصوصا، و من بين الجهود المبذولة في هذا الصدد نذكر ما قام به الكاهن و المبشّر الأمريكي هنري مارتن (ت 1812م) الذي اتخذ من الهند مقاما له و استهدف نشاطه بلاد فارس و الدولة العثمانية، و بعدها أخذت الإرساليات التبشيرية تشدّ الرحال إلى الأناضول و فلسطين و شكلت مراكز لها في أزمير و إسطنبول و القدس، و في مقدمة تلك الإرساليات لجنة التبشير الأمريكية التي ركزت جهودها على قبائل النصيرية في بلاد الشام و أخذت على عاتقها مهمة تنصيرها[2].

= إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون و المبشرون في العالم العربي و الإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة 1964م، ص 42.

[1] البهي، مرجع سابق، ص 425.

[2] ألفرد لوشاتلييه، الغارة على العالم الإسلامي، تعريب مساعد اليافي و محب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط2، جدة 1387هـ، ص 40.

و قبل ذلك كانت أولى المحاولات سنة 1664م التي استهدفت أساسا الأتراك المسلمين لكن لم يُتَحْ لهذا المشروع أن يكتمل، و تجدّد الأمر عام 1795م بجهود جمعية لندن التبشيرية التي كانت لها فروعا في أوربا و في البلاد العثمانية، و انتشرت نشاطات مماثلة رعتها حكومات بروسيا و الدانمرك و هولندا و النرويج و سويسرا [1].

و تأسست جمعيات فرعية مثل جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية، و جرى تأسيس إرساليات طبية لتلتحق بركب التبشير، كما ألحقت بها أقسام نسائية أرسل بعضها إلى الأناضول وأنشأت على شاكلتها جمعيات لتبشير الفتيان و الكهول[2].

أضحت الدولة العثمانية مستهدفة بشدة من طرف الدول الغربية بوجه عام، لكن ما يثير الانتباه أن الولايات المتحدة الأمريكية دخلت على الخط بشكل مباشر بعد أن قرر المجلس الأمريكي بدء عمله في البلاد العثمانية، و كان من نتائج ذلك تأسيس مدرسة تحت اسم الكلية البروتستنتية السورية، و سارعوا لإقامة الكنائس و المستشفيات و دور الأيتام، و بمرور الوقت أضحت مدينة أزمير المركز الأول للتبشير، و ازداد النشاط التبشيري الأمريكي اتساعا بعد توقيع معاهدة صداقة بين الدولة العثمانية و الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1830م[3].

و في أعقاب فتنة عام 1860م بين الموارنة و الدروز و هي بكل تأكيد مُفتَعلة و للغرب اليد الطولى في إذكائها، وجّه المبشرون الأنظار إلى جبل لبنان، فبعد نحو عقد من الزمن انتشرت لجنة التبشير الأمريكية في البلاد العثمانية عدا سوريا، و تم تأسيس المركز البروتستنتي في الأستانة التي صارت مركزا آمنا للمبشّرين[4].

---

[1] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاث و خوافيها (التبشير و الاستشراق و الاستعمار)، دار القلم، ط8، دمشق 2000م، ص 63.

[2] لوشاتلييه، المصدر السابق، ص 66.

[3] حصل الأمريكيون على امتيازات تضارع الامتيازات التي تحصل عليها الأوربيون، كحرية الملاحة في البحر الأسود و التعاون الثقافي بإنشاء مدارس و جمعيات، كما جرى التركيز على الشق الاقتصادي، حول المعاهدة العثمانية الأمريكية و لتفصيل أكثر انظر:

- Treaties between Turkey and Foreign Powers 1535-1855, Foreign Office, London 1855, pp 37- 38.

[4] الميداني، المرجع السابق، ص 66.

و كان للكنيسة الأرثوذكسية نصيبها من التبشير، فقد ظهرت أول مدرسة روسية عام 1885م في بلاد الشام و فلسطين، و وصل عدد المدارس عام 1912م إلى نحو مائة مدرسة نشرت الأبحاث و الدراسات و قامت بأعمال أثرية و حفريات، و شجعت القومية العربية ضد العثمانيين و انتشرت فروعها في صور و بيت جالا و صحنايا و مَعْلُولا و الشُّوِيفات ببلاد الشام[1].

و مما ذكره زويمر عن الهدف من نشاطه، أن هدم الإسلام في نفوس المسلمين له من الأهمية و أنّ ما يجب فعله للقضاء على الإسلام هو إيجاد القوميات، إنّ الغرض من التبشير –حسبه– هو قتل الإسلام لاستعباد المسلمين «...إنّ الغاية التي نرمي إليها هي إخراج المسلم من دينه ليكون إما ملحدا أو مضطربا في دينه، يجب أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يتسبّب في قطعها أحد أغصانها...»[2].

اختار زويمر جزيرة البحرين عام 1893م مركزا لدعوته في الخليج العربي، و وصل إلى المنامة في العام الموالي فأقام بها عقدين من الزمن و بدأ بنشر أفكاره الهدامة، فقوبل بالرفض و كاد يُطْرد لولا حماية المندوب البريطاني له في الخليج، و حاول التوغل في إقليم الأحساء لكنه طرد من طرف الوالي العثماني عليها فرجع إلى المنامة، ولم يفلح في تحقيق النتائج المرجوة لتلك البعثات باعترافه هو شخصيا[3].

أشرف المستشرق زويمر على العديد من المؤتمرات ذات الطابع التنصيري السافر المنعقدة في بلاد الإسلام تحت مظلة الاستعمار، فنذكر من بين تلك المؤتمرات مؤتمر القاهرة المنعقد في سنة 1906م، و قدم من خلاله جملة من النصائح من بينها:

---

[1] ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط و شمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت 2013م، ص ص 71- 72.

[2] أنور الجندي، معالم تاريخ الإسلام المعاصر، دار الاعتصام، القاهرة 1987م، ص ص 117-118.

[3] عن رحلاته و ما اعترضه من صعوبات و معيقات في البلاد العربية و إسطنبول انظر: ناصر بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 37 و ما بعدها، انظر أيضا: ص 53.

- وجوب إقناع المسلمين أن النصارى ليسوا بأعداء لهم.

- تبشير المسلمين بواسطة رسول منهم لان الشجرة يجب أن يتسبب في قطعها بعض أغصانها.

- حثّ المبشرين على الصبر إذ من المحقق أن المسلمين قد زاد في نفوسهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين و تحرير النساء [1].

كان التنسيق بين المبشّرين يسير على قدم و ساق، فالمراسلات لم تنقطع و المؤتمرات تنعقد الواحد تلو الآخر في فترة ضعفت فيها الدولة العثمانية ضعفا شديدا، و قد راهن المبشرون على هذا الظرف مستبشرين بتحقيق المزيد من الانتصارات.

استمر دعاة التبشير و منظّروه في عملهم الدؤوب و ظهر ذلك من خلال مراسلة من القسّ زويمر إلى المستشرق و المبشر الفرنسي ألفرد لوشاتلييه[2] مؤرخة في 2 أوت 1911م من بين ما جاء فيها: « ... أنّ لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مَزِيّتين مزية تشييد و مزية هدم...و الأمر الذي لا مِرْيَةَ فيه هو أنّ حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام و مبادئه الخلقية في البلاد العثمانية و القطر المصري و جهات أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه...»[3].

---

[1] علي محمد جريشة و محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ط3، المدينة المنورة 1979م، ص ص 33- 34.

[2] ألفرد لوشاتلييه A. Lechatelier (1855- 1926م) مستشرق فرنسي، ترأس مجلة العالم الإسلامي عند تأسيسها، شغل منصب أستاذ علم الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا، له دراسات واسعة في المجلة عن الشرق و البربر في المغرب و عني بالأوضاع الاجتماعية و السياسية في العالم الإسلامي من مؤلفاته: الإسلام في القرن التاسع عشر، الطرق الإسلامية في الحجاز انظر عنه: العقيقي، المستشرقون، ص ص 228- 229، أيضا: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 517.

[3] لوشاتلييه، الغارة على العالم الإسلامي، ص 17.

إنّ التغييرات العميقة التي عرفتها الدولة العثمانية بعد الانقلاب على الخلافة و بروز تيار الاتحاد و الترقي و تركيا الفتاة جعلت المبشرين يتوقعون اضمحلال ما أطلقوا عليه الإسلام السياسي، و أن ما بقي منه ستُشَيَّدُ حوله أسوارٌ منيعة من الأسلاك الأوربية الشائكة [1].

و الأخطر من ذلك ما صرّح به زويمر حين أشار في مؤتمر لكنؤ المنعقد في الهند سنة 1911م أن السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) سجين في سلانيك، و بالتالي لم يتبقّ سوى 27 مليونا من المسلمين تحت سلطة الحكومات الإسلامية، بينما انتقلت السلطة على ما تبقى منهم إلى أيدي الإنجليز و الفرنسيين و الروس و الهولنديين، و سيزداد عدد المسلمين المصَفَّدين بأغلال الاستعمار في أعقاب انقلابات قريبة الحصول(!) [2].

و من المؤلفات التي طبعها المستشرقون المبشرون و راهنوا بها على إخراج المسلمين من دينهم العمل الذي قام به المستشرق كارل فاندر[3]، إذ ألف كتابا بعنوان "ميزان الحق" هاجم فيه القرآن الكريم و أنكر نبوة النبي محمد صلى الله عليه و سلم، و كان مركز نشاطه بالهند عضوا فاعلا في إرسالية بازل التبشيرية السويسرية التي اتخذت من الهند و بلاد فارس ميدانا لها [4].

أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة، و كانت الحكومة الإنجليزية تساند مخططاته، إلا أن ذلك لم يمنع علماء المسلمين من مواجهته بالحجج الدامغة، فبرز عندئذ الشيخ رحمة الله الكيرانوي الهندي[5]

---

[1] لوشاتلييه، المصدر السابق، ص 20.

[2] جريشة و الزيبق، مرجع سابق، ص 34.

[3] كارل غوتليب فاندر K.G. Pfander (1803- 1865م) مستشرق و مبشّر و عضو في بعثة بازل التبشيرية في آسيا الوسطى و القوقاز و جورجيا، نشط في بلاد فارس بين سنتي 1825- 1837م و انتقل إلى الهند لذات المهمة ما بين عامي 1841- 1857م ثم إسطنبول ما بين سنتي 1858- 1860م من مؤلفاته الطاعنة في الإسلام ميزان الحق، الاعتذار و عن الطبيعة المحمدية انظر عنه:

- Lyle L. Vander Werff, Christian Mission to Muslims the Record, Anglican reformed approaches in India and the Near East 1800-1938, William George library Pasadena (USA), 2000, p 41.

[4] عبد الجليل شلبي، معركة التبشير و الإسلام (حركات التبشير و الإسلام في آسيا و إفريقيا و أوربا)، مؤسسة الخليج العربي، ط1، القاهرة 1989م، ص 282.

[5] رحمة الله الكيرانوي الهندي (1818- 1819م) ولد بكيرانة قرب دلهي من أسرة شريفة، درس الطب في بداية حياته ثم أسس مراكز لتدريب الدعاة المسلمين على مقاومة التنصير، استخدم أسلوب المناظرات في الرد على القسس و المستشرقين من آثاره: معدّل اعوجاج الميزان (بالفارسية و الأوردية)، تقليب المطاعن بالعربية (لم يطبع و هو مفقود)، معيار التحقيق، إظهار الحق، انظر كتابه:

رحمة الله بن خليل الرحمان الكيرانوي العثماني الهندي، إظهار الحق، ج1، تحق: محمد عبد القادر ملكاوي، الرئاسة العامة للإدارات و البحوث العلمية و الإفتاء، المملكة العربية السعودية 1989م، ص 15 و ما بعدها.

وجرت بينهما مناظرة في بلدة أكبر أباد سنة 1854م حضرها جمع غفير من أعيان البلاد و من المسلمين و القُسُس و المنصّرين و مراسلي الصحف و العسكريين الإنجليز، و لم تدم المناظرة أكثر من يوم حتى نَكَصَ فاندر على عقبيه يجرُّ أذيال الهزيمة[1]، و تلقّى تعنيفا غليظا من الإنجليز لأنه جلب العار للكنيسة، و اضطر بعدها للسفر إلى أوربا حيث مكث لفترة يسترجع أنفاسه، و كُلِّف بعدها بمهمة التنصير في إسطنبول سنة 1858م.

استقر فاندر في الأستانة و لقّق جملة من الأكاذيب و أشاع المغالطات بين الناس بأنه ناظر أحد علماء المسلمين و هزمه على رؤوس الأشهاد و دعا مسلمي الدولة العثمانية سرًّا إلى التَّنصُّر، ولما تناهت إلى أسماع السلطان عبد العزيز (1830-1876م) تلك الأخبار و خشي تأثير ذلك على أبناء المسلمين و على الخلافة الإسلامية، أرسل في طلب الشيخ رحمة الله الهندي الذي كان آنذاك في مكة المكرمة فارّا من الإنجليز بعد مشاركته في الثورة ضدّهم[2].

حلّ الشيخ ضيفا مُكَرَّمًا لدى السلطان سنة 1863م، و لما سمع فاندر بذلك فرّ من الأستانة (هلك بعد خروجه منها بسنتين)، و طلب السلطان بطبع كتاب الشيخ رحمه الله الذي اختار له عنوان " إظهار الحق " على نفقة الصدر الأعظم خير الدين باشا التونسي (1820-1890م)، كما أمر السلطان بترجمته إلى اللغة العثمانية و إلى لغات أوربية أخرى، و وُزِّعَ الكتاب في الأستانة على نطاق واسع و أعيد طبعه بمصر وأضحى موضع اعتزاز للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها[3].

لقد كان لهذا الحدث صدى واسعا، و نبّه هذا الأمر السلطان العثماني لخطورة الوضع وتربص أعداء الإسلام، فأوعز بترحيل العديد من المنَصِّرين عن إسطنبول و صودرت مؤلفاتهم[4]، لكن جهود التنصير ظلت متواصلة في البلاد العثمانية البعيدة عن المركز، لأن المنصِّرين استخدموا العديد من

---

[1] الكيرانوي، المصدر السابق، ص 17 و ص ص 34- 35.

[2] نفسه، ص 34.

[3] نفسه، ص 21.

[4] نفسه، ص ص 43- 44.

الوسائل لتسيير مخططاتهم الهدامة، كتشييد المستشفيات و الملاجئ و الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي و الجامعات و المدارس الابتدائية و البعثات الطبية و غيرها كثير، حتى لا يثيروا انتباه ساسة المسلمين.

إنّ الاستشراق في بداية أمره لم يكن سوى أداة من أدوات التبشير، و هما في الفترة الحديثة صنوان لا يختلفان في الهدف ووحدة الصف، فدورهما يكمن في تمكين الغرب المسيحي و تثبيت نفوذه في البلاد الإسلامية كمقدمة للاستعمار الأوربي الذي وفّر الحماية اللازمة و الدعم المادي للظاهرتين.

وجب علينا في الأخير التنبيه إلى الاختلاف بين التنصير و الاستشراق من زاوية معينة، إذ ليس كل مستشرق مُنَصِّرًا، فالاستشراق أخذ صورة البحث الأكاديمي كالتدريس و إعداد البحوث و المقالات و إلقاء المحاضرات، بينما دعوة التبشير ظلت في حدود الكنيسة وعامة الناس.

إنّ التبشير كظاهرة لم يكن يَرْمِ إلى دعوة المسلمين إلى التَّنَصُّر، لكنه سعى أكثر إلى إيجاد الطرق المناسبة لتشويه الإسلام بقصد إضعافه، و تصوير المسلمين بصورة مزرية وتصنيفهم خارج أسوار الحضارة بعد أن انتشرت مظاهر التغريب في أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، كحرية المرأة و نزع الحجاب باعتباره مظهرا للرجعية و التخلف، و تهيئة شخصيات و قادة شرقيين منزوعي الإرادة ليست لهم العزيمة والاستعداد لمقاومة التّسلط الغربي بمختلف أشكاله.

المحاضرة السابعة: الاستشراق و الدولة العثمانية

اهتمّ المستشرقون بالمساهمة في كتابة التاريخ العثماني، فظهرت دراسات كثيرة أَتْخَمَت رفوف المكتبات، لأن هذه الدولة التي مثّلت الإسلام أحسن تمثيل مع مطلع العصور الحديثة كانت غُصَّةً في حلق الغرب الأوربي وقَذًى في عينيه، و قد مسّت هذه الهجمة الفكرية و الحضارية مختلف أوجه التاريخ العثماني، فطالت السلاطين و الجيش و المجتمع و الثقافة العثمانية، وأثرت هذه العملية في كتابات من أخذ عنهم من العرب و الأتراك، حتى أضحى التاريخ العثماني في الفترة المعاصرة مقطوع الوشائج لأن العلمانية التي تبنّاها الأتراك و فكرة القومية عملت عملها في بروز عقلية اللااعتراف بجهود العثمانيين التي لا ينكرها إلا جاحد.

إنه لمن الخطورة الاعتماد على كتب كهذه لقراءة تاريخنا و البحث فيه، لأن هذه المؤلفات كان السّاعي منها ورائها هو الحقد المتوارث و محاولة إخفاء الدور الذي مثّلته الدولة العثمانية كحامية للمسلمين و جلادة للصليبيين و الحاملة لراية الفتوحات التي بلغت قلب أوربا، فأعزَّت كلمة الإسلام و صدحت المآذن بالأذان في شرق أوربا، و ليس من السهل بالنسبة للأوربيين أن يستسيغوا هذا الأمر الذي أَقَضَّ مَضاجِعَهُم لقرون متواترة.

أ- الرحـــــلات:

شُدّت الرحال إلى آسيا الصغرى و البلاد العربية منذ القرن 12م، و أقدم تلك الرحلات هي التي قام بها الإيطاليون من جنوة و نابولي و غيرها، فقد كان أولئك الرحالة يعرفون الشرق جيدا، و كان اسم تركيا متداول في أدبياتهم، و لا تزال تلك المخطوطات التي تكلمت عن الموضوع موجودة في أرشيفات جنوة و البندقية، و هناك أيضا كتابات لا تقل أهمية في الكتب الألمانية و الفرنسية.

إنّ من أبرز ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد ما ألّفه الرحالة الفرنسي بيرتراندون دولابروكيير Bertrandon de la Broquière (1400-1459م) الذي كتب عن عصر السلطان مراد الثاني (1444-1451م)، و مثله كتب الألماني هانز شلبترغ (؟) الذي أُسِرَ في تركيا و قام بتدوين ملاحظاته باللغة التتارية [1].

يجدر بالذكر أيضا ما كتبه الرحالة الفرنسي جان شاردان Jean Chardin (ق17م) عن رحلتيه من باريس إلى تبليسي و من باريس إلى أصفهان (1676- 1679م)، و جاء وصفه غنيا بالصور و المعلومات، لكنه يحكم على الأصقاع التي زارها بالكسل و التخلف و الجمود، و لم يختلف عنه في الرأي مواطنه جان بابتيست تافيرنيير Jean-Baptiste Tavernier (1605- 1689م) الذي نشر كتابا بعنوان ستّ رحلات في تركيا و إيران و هي مهمة من حيث النظرة الغربية للشرق [2].

و لنا أيضا أن نشير إلى رحلة الفرنسي الطبيب أوليفي G.A. Olivier (1756- 1814م) و هي ذات أهمية، فصاحبها هو عالم متخصص و موسوعي كُلِّف بمهمة شاقة لاستكشاف أجزاء واسعة من أراضي الدولة العثمانية و إيالاتها العربية وبلاد فارس، و كانت الحكومة الفرنسية هي من أصدرت الأوامر في عام 1792م بُغيَة الحصول على تقرير مفصّل في فترة تميّزت بالحساسية لأن فرنسا كانت على أعتاب مرحلة جديدة من العلاقات [3].

أما المستشرق دي فولني Constantin-François Chassebœuf (1757- 1820م) فقد أظهر عداء شديدا للإسلام كدين و كنظام سياسي، و كانت رحلته إلى مصر و بلاد الشام التي جعلها في كتاب طبع سنة 1787م مقدمة لحملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م، و مما

---

[1] إيلبر أورتايلي، إعادة استكشاف العثمانيين، تر بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت 2012م، ص 102.

[2] نفسه، ص 102-103.

[3] انظر ما تعلق بالدولة العثمانية و وصفها بدقة في الجزء الأول من الرحلة.

ذكره فولني كنصيحة لنابليون أن على فرنسا مواجهة ثلاثة عوائق الأول حتى تستطيع أن تستأثر بالشرق الأول هو إنكلترا و الثاني السلطان العثماني و الثالث هو الإسلام[1].

و من الرحلات في القرن 18م و هي الفترة التي زاد فيها الاهتمام غير البريء بالدولة العثمانية، نذكر الرحلة المصَوَّرَة التي أعدَّها الكونت دو شوازل غوفيي De Chaiseul Gouffier السفير الفرنسي في القسطنطينية (1784- 1791م)، و هي غنية بالرسوم و المصورات و الخرائط و المخططات و تبدو أقرب إلى تقرير منها إلى رحلة [2].

و من رحلات القرن 19م نذكر رحلة المستشرق أرمنيوس فامبيري[3] Arminius Vámbéry إلى الدولة العثمانية و أواسط آسيا التي جمعها في كتاب في شكل سيرة ذاتية كتبها في أعقاب عودته إلى بلاده، و كان يتجول في الدولة العثمانية باسم درويش يُدعى رشيد أفندي[4]، و بعد رحلة طويلة وشاقة استطاع أن ينسج علاقات وطيدة مع الساسة العثمانيين، و بحكم إجادته لعدد من اللغات الأوربية (13 لغة) تعرّف إلى السلطان عبد الحميد الثاني فأضحى من مُقَرَّبيه وكسب ثقته فاصطفاه ليكون مُدرِّسا لابنته[5].

تجدر الإشارة أيضا إلى رحلة هامة جدا أهمية المعلومات الواردة فيها قدمها المستشرق بوركهارت[6] عضو جمعية بازل العلمية الذي كُلِّفَ بمهمة عام 1809م في البلاد العربية الخاضعة

---

[1] قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية و الانتقالية، دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع، ط1، الرياض 1983م، ص 52.

[2] Comte De Choiseul Gouffier, Voyage Pittoresque dans l'Empire Ottomane, 1er, Libraine de J.P Ailland, Paris 1842.

[3] أرمينيوس فامبيري (1832- 1913م) مستشرق يهودي مجري، كان عصاميا في تعلمه بسبب فقره، تعلم اللغات الشرقية حتى أتقنها نُطقًا وكتابة (13 لغة)، أقام في الدولة العثمانية لسنوات و أضحى مُقَرَّبا من السلطان عبد الحميد الثاني، قام بالعديد من الرحلات في زي الدراويش فطاف في بلاد فارس وبخارى وسمرقند، وعندما عاد إلى المجر اشتغل أستاذا للفارسية والتركية في جامعة بودابست، انتخب عضوا في المجمع العلمي المجري ثم رئيسا له، من آثاره: رحلتي وانطباعاتي في بلاد الفرس، رحلة إلى آسيا الوسطى، الأتراك والعرب وغيرها، انظر: العقيقي، المستشرقون، ص 905.

[4] Arminius Vambéry, The Life and Adventures of Arminius Vambéry with an appreciation by Max Nordou, Frederick A. stokes company publishers, New York, p 26.

[5] Arminius Vambéry, The Story of My Struggles the Memoirs of Arminius Vambéry, vol II, T, Fisher Unwin Patermoster sqare, London 1904, p342.

[6] جوهن لويس بوكهارت (1784- 1817م) Burkhardt J. L مستشرق سويسري الأصل انتقل إلى إنكلترا وتعلم في كامبريدج ونال الجنسية البريطانية رحل إلى حلب حيث أتقن العربية وتفقه في الدين الإسلامي، قضى حياته سائحا في البلاد العربية، كشف آثار مدينة البتراء (1811م) أدى مناسك الحج بعد أن أسلم وعاد بعدها إلى القاهرة حيث توفي بها، وَقَفَ مخطوطاته على مكتبة جامعة كامبريدج، من آثاره: الرحلة إلى بلاد الشام رحلة إلى الجزيرة العربية، سجلات أسفار في الشرق الأدنى و الاتصال بالوهابيين انظر عنه: العقيقي، المستشرقون، ج2 ، ص 475.

للحكم العثماني لدراسة جغرافيته وتاريخه وشعوبه ولغاته، وقد بدأ تلك الرحلة باسم مُستَعار هو إبراهيم بن عبد الله مُنتَحِلا شخصية تاجر من الهند، وعندما وصل إلى حلب أخذ يتنقّل بين المناطق ويختار في كل مناسبة شخصية معينة تناسب مهمته، فتارة نراه بزي البدو وتارة أخرى بزي تاجر هندي، و قد ساعده ذلك على زيارة مناطق عديدة في الشام وفلسطين والعراق ورحل إلى مصر من النيل إلى النوبة فالحجاز[1]، ولم يمنعه من الترحال إلا الوضع المتردِّي بسبب الحركة الوهابية، وخلال إقامته بالحجاز سجّل انطباعاته عنهم بأنهم رغم أخطائهم أرفع من الأوربيين شأنا في كثير من الصفات كما أنهم أرقى من الأتراك في كل اعتبار[2].

أما الأتراك فهم في نظره يشتركون مع البدو في الصفات السيّئة، ولكنهم لا يتمتعون إلى جانبها بأي فضائل أخرى، وظل على رأيه هذا عندما رحل إلى مصر، فكان يرى أن الأوضاع السياسية والصراع المستمر بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا والي مصر (1805- 1848م) والثورة الوهابية تُنْبِئُ باضمحلال سلطة الأتراك العثمانيين في الحجاز، فأطماع محمد علي باشا كحاكم مستقر وقدير في رأيه سيجعل العرب يأخذون بثأرهم من الأتراك و من الخضوع الذي قبلوه مرغمين لقاهرهم، ومن المحتمل حسبه أن ينتهي حكم الأتراك في الحجاز، إلا أن ذلك على حد رأيه يحتاج إلى تضحيات كبيرة ومشاهد من سفك الدماء[3].

ب- البعثات الأثرية:

ارتبطت ارتباطا وثيقا بالاستعمار الذي وفر لها الحماية، فكانت تارة تعمل تحل مظلة الجيوش وتارة بأعين الساسة و الدبلوماسيين، ولنا في حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م لأوضح مثال، عندما رافقت جيوش الحملة جحافل العلماء والمكتشفين وقامت بعملية مسح للأراضي المصرية في زمن كانت الدولة العثمانية تقف بلا حراك.

---

[1] إبراهيم الحيدري ، صورة الشرق في عيون الغرب (دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي) ، دار الساقي، ط1، بيروت 1996م، ص 53.

[2] نفسه.

[3] نفسه ، ص 55.

أما الانجليز فكانت جهودهم معتبرة بعد انحسار الحملة الفرنسية عن مصر بضغط من الأسطول الإنجليزي تحت قيادة الأميرال نابييه Charles John Napier (1786- 1860م)، وقد فتح احتلال عدن الطريق عريضا أمامهم لمد نفوذهم إلى أنحاء البلاد العربية الخاضعة للحكم العثماني، وهو التاريخ ذاته الذي بدءوا فيه بإرسال البعثات العلمية للتنقيب عن الآثار القديمة في اليمن التي تعود إلى فترة ما قبل الإسلام [1]، وكان ذلك فاتحة لجهود إنجليزية مضاعفة للمزيد من الاكتشافات التي جرى فيها التركيز على المنطقة العربية، فقد ظهر بوضوح أن أغلب البعثات الغربية تركّزت في السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية أكثر من شمالها ووسطها، بحكم نفوذ الإنجليز فيها ومساعدتهم لتلك البعثات.

و يجدر بالذكر أن أول مجلّة متخصصة في مجال التنقيب عن الآثار هي التي تأسست في ألمانيا عام 1809 م تحت عنوان "مناجم المشرق" وكان من أهم أهدافها مواصلة التنقيب عن الكنوز الشرقية التي لم تكن قد اكتشفت بعد[2]، ولنا أن نذكر طائفة من المستشرقين الذين اهتموا بالآثار ورحلوا إلى الشرق على رأس بعثات أو بشكل منفرد للتنقيب تحت أعين ورعاية حكومات غربية.

إن أبرز البعثات الأثرية وأولها في حدود اطلاعنا هي التي كان من ضمنها المستشرق نيبهر[3] الذي أبحر مع البعثة الدانماركية سنة 1761م، فمرت في طريقها بحرا بالبوسفور والأستانة إلى مدينة الإسكندرية حيث أقامت لبعض الوقت لإجراء أبحاث أثرية وجغرافية، وانتقلت في العام الموالي إلى جدة ثم سواحل اليمن ثم أبحرت شطر الهند، ونظرا لشدة الحرّ والتعب الذي نال من أعضاء البعثة بعد العودة من الهند قضوا الواحد تلو الآخر، ولم يبق غير نيبهر الذي واصل عمله في عُمَان ومَسْقَط

---

[1] الحيدري ، المرجع سابق ، ص 53.

[2] نفسه، ص 43.

[3] كارستن نيبهر C. Neibuhr (1733- 1815م) مستشرق ألماني المولد ، درس في كوبنهاغن علم الفلك وكلف بعدها بمهمة الالتحاق بالبعثة الدانماركية في جنوبي الجزيرة العربية، قام بالعديد من الاكتشافات في مدن أشور وفارس والبصرة وبغداد والموصل وحلب وغيرها، عاد إلى الدانمارك وعين مهندسا في هيئة أركان الحرب سنة 1767م، ثم مستشارا قانونيا قبيل وفاته، نشر أبحاثه عن الاكتشافات التي قام بها بالألمانية ثم الفرنسية ودراسات أخرى قيمة انظر عنه: العقيقي المستشرقون ص ص 838- 839.

والعراق، فزار أطلالها و تَنَقّل بين النّجف وبغداد والموصل ثم الأستانة، ومنها عاد إلى أوروبا ووصل إلى الدانمارك سنة 1767م[1].

لقد تضمّنت رحلة نيبهر الكثير من المعلومات التي استغرقت مجلدات، كما سلخت نصيبا من حياته التي كاد يفقدها في مجاهل الصحراء العربية، و ما يهمّنا هنا هو اكتشافاته الهامة في مدن بابل و أشور والآثار القديمة في البلاد العربية التي طافها، فأضحى بفضل جهوده مرجعا لا يمكن الاستغناء عنه لكل غربي يروم اكتشاف آثار الشرق لنحو قرن من الزمن[2].

لقد دفعت رحلة نيبهر الكثير من العلماء والمستشرقين إلى إجراء الدارسات الحديثة والتنقيب عن آثار الحضارات القديمة المطمورة في صحراء الجزيرة العربية والعراق ومصر، ففي سنة 1810م قصد المستشرق زيتسن[3] اليمن فعثر على نقوش حِمْيَرِيَّة في ذُمَار، ولما انتقل إلى مُخَا اختفى ولم يظهر له أثر فقيل أنه قُتِلَ من طرف الأعراب في تعز وقيل أنّ إمام اليمن أمر بدس السم له فمات منه، وترك اختفاؤه أثرا سيئا في نفوس الرحالة الأوروبيين الذين أوجسوا خيفة وأحجموا عن التوجه إلى جنوب الجزيرة العربية لسنوات[4].

ومن معاصري زيتسن المستشرق بوركهارت (أشرنا إليه فيما سبق) الذي كشف عن آثار مدينة البتراء شرقي الأردن سنة 1811م، وفي النصف الثاني من القرن 19م زاد الاهتمام بالاكتشافات الأثرية خاصة في اليمن من طرف المستشرقين الإنجليز بمأرب ونجران وحضرموت، وسار المستشرق غلازر[5] في هذا الاتجاه أيضا فرحل إلى اليمن بين سنتي 1887 و 1888م مُتَخَفِّيًا بزي فقيه عربي

---

[1] الحيدري، المرجع السابق، ص 47.

[2] نفسه، ص 49.

[3] أولريخ غاسبر زيتسن (1767-1811م) U. J. Seetzen مستشرق ورحالة آلماني، قصد مصر في رحلته إلى الحجاز ثم انتقل إلى اليمن التي توفي بها، زار إسطنبول و الشام وفلسطين وشرقي الأردن، من مؤلفاته: أشعار في سوريا وفلسطين وبلاد ما وراء الأردن، بلاد العرب ومصر السفلى (1859م) انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص331.

[4] العقيقي ، المستشرقون، ص ص 1097- 1098.

[5] إداورد غلازر (1855- 1908م) E. Glaser مستشرق يهودي نمساوي ، درس الفلك واللغة العربية اهتم بدراسة النقوش العربية الجنوبية سافر إلى اليمن مرات عديدة لجمع الآثار والنقوش ورسم الخرائط، وأجرى البحوث والدراسات المستفيضة منها: مخطط تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية و عن أسفاري في الجزيرة العربية، و عمر النقوش المعينية و الأصل في اسم العبريين وغيرها، انظر: بدوي موسوعة المستشرقين، ص 136.

و توجّه شطر صنعاء وبحث في آثار مملكة سبأ وحمل معه قطعا أثرية ونقودا وخواتيم ومئات النسخ والمخطوطات لكتابات عربية قديمة [1].

أما في القرن 20م فمن أبرز البعثات الأثرية نذكر بعثة المستشرق ماسينيون[2] الذي كلف بمهمة أثرية في ظاهرها بمصر ثم العراق ما بين سنتي 1907 و 1908 م فسافر إلى بغداد وتعرّف إلى العالم العراقي محمود شكري الآلوسي (1856-1924م) واستأجر بيتا عربيا في منطقة نائية ولبس الطربوش والزي العربي و شرع في أعمال الحفر والتنقيب، ورغم أنه انتُقِدَ من طرف القنصل الفرنسي في بغداد كَونُه لم ينجز المهمة التي أوكلت إليه وترك المجال للألمان في منافسة الفرنسيين، إلا أنه تمكّن من اكتشاف قلعة الأخيضر أو ما يُسَمَّى بقصر السَّدير بين النجف وكربلاء (نشر كتابين عن الموضوع في معهد القاهرة لاحقا).

وفي أثناء عودته حاملا زاده الثمين وتقاريره المشبوهة ألقت السلطات العثمانية القبض عليه بتهمة التجسس، وحاول الهرب فلم يفلح فاستسلم للموت، ولكن أسرة الآلوسي شفعت له لدى الباب العالي فنجا بأعجوبة، وما كان لينجو لأن نشاطه المشبوه كان متزامنا مع اندلاع الثورة التركية التي نشبت بإيعاز من اليهود والدول الأوروبية.

إنّ سيرة ماسينيون كمستكشف تشوبها العديد من الشكوك كونه مكلف بمهام من طرف وزارة الخارجية الفرنسية، وتواجد في الفترة ذاتها التي كان ينشط فيها المستشرق لورانس الذي توجه إلى الجزيرة العربية لنشر الدعاية الإنجليزية وإثارة العرب ضد الدولة العثمانية، وللتّمويه عن نشاطه المشبوه

---

[1] العقيقي، المستشرقون، ص ص1099- 1100.

[2] لويس ماسينون (1883- 1962م) L. Massignon مستشرق فرنسي، عرف بميله إلى الفن بحكم مهنة والده، رحل إلى الجزائر سنة 1901م ثم إلى مراكش درس اللغة العربية و العامية في باريس، اشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر سنة 1905م وتعرف على العديد منهم زار مصر والعراق واهتم بالتصوف الإسلامي خصوصا، اشترك في الحرب العالمية الأولى في جبهة الدردنيل، وبعد الحرب عاد إلى التدريس في فرنسا وكلف بمهام في مصر وغيرها من البلدان كالأستانة و القدس وبيروت وحلب، انتخب عضوا في المجامع اللغوية وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامي ومجلة الدارسات الإسلامية، من مؤلفاته البعثة الأثرية مابين النهرين في مجلدين بالفرنسية وترجمة إلى العربية نشرت في مجلة العالم الإسلامي والمجلة الآسيوية، انظر عنه بإسهاب: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ص 529- 535 أيضا: العقيقي، المستشرقون، ص 288، و مجلة المجمع العلمي العربي م1، ج1 (1921/1/1م)، ص ص22-23.

كلف بمهام إضافية للتنقيب عن الآثار في الصحراء العربية ومواصلة العمل الذي قام به المستشرق تشارلز دوتي Charles Doughty (1843-1926م) في مَدائِن صالح.

لقد التقى ماسينيون و لورنس وكلاهما مكلف بمهمة من حكومة بلاده، و دار بينهما حوار لجسّ النبض واكتشاف النوايا عن الأسرة العثمانية و الحسين بن علي شريف مكة (1908-1917م) و الثورة العربية المرتقبة ضد الأتراك[1].

لا شك أن البعثات الأثرية لم تكن سوى مواصلة لجهود الأوربيين لمعرفة المزيد عن الشرق وعن المنطقة العربية على وجه الخصوص، وبرز كنتيجة لذلك تنافسٌ بين الإنجليز الذين سيطروا على عدن سنة 1839م وبين الفرنسيين الذين سعوا إلى إيجاد منطقة نفوذ لهم في بلاد الشام، واستقرت جهود الطرفين لاحقا على الاتفاق صيانة لمصالح الطرفين و النجاح في تحقيق معادلة الاصطدام بين الدولة العثمانية و العرب الذين خَسِرُوا خُسرانا مُبينًا.

ج- الرسم والتصوير :

قد يستغرب البعض من إدراجنا للرسم والتصوير في حديثنا عن الاستشراق فنقول إنه لون خاص منه ونعتبره استشراقا صامتا، لكننا نستطيع أن نستنطقه ونحصل من خلاله على العديد من الانطباعات، إنّ علاقة الدولة العثمانية بهذا النوع من الاستشراق تعود إلى القرن 15م الذي يمثل عصر التنوير بالنسبة لأوروبا عموما و للمدن الإيطالية على وجه الخصوص، بالنظر إلى دورها الرئيس في دفع حركة النهضة لدى الغرب الأوروبي، وبحكم قرب إيطاليا من العالم الإسلامي الذي كانت تمثله الدولة العثمانية فقد ظهر نوع من الاتصال الثقافي بين الطرفين.

و نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر زيارة المستشرق و الرسام الإيطالي جنتيلو بلّليني Gentile Bellini (1429-1507م) للأستانة عام 1479م بناء على دعوة رسمية من السلطان العثماني محمد الثاني (1451-1481م) المعروف بتشجيعه للثقافة والفنون، وطلب إليه أن يرسمه

[1] مجلة الفكر العربي، السنة الخامسة، عدد 32 (يونيو 1983م) ، ص 360.

فقام الرسام بهذا العمل ولا تزال الصورة محفوظة في متحف لندن الوطني[1]، واستمر هذا التعاون –إن صحّ التعبير– في لوحات لاحقة تمثّل الزيارات و اللقاءات الرسمية بين الباب العالي و قناصل البندقية وتوسكانا[2]، و تجاوز الاهتمام إلى فرنسا بفضل الرحالة و الفنانين الذين أقاموا لفترات طويلة بالأستانة و كُلِّفوا بتصوير شتى مظاهر الحياة الشرقية خاصة ما تعلّق بالبلاط وقد سُمِّي هؤلاء بجماعة البوسفور، فأنجزوا أعمالا تناولت حياة السلاطين و الأمراء والأعياد والدراويش و المناظر الطبيعة و الصور الشخصية[3].

تطور هذا النوع من الاستشراق وبرز بشكل أوضح بعد الحملة الفرنسية على مصر العثمانية فبدأت رحلات الرسامين والمصورين في العالم الإسلامي سعيا لإثراء وسائل التعبير من خلال الانطباعات الحِسّية والألوان وتوزيع الضوء والضِّلال، و توجَّه كبار الرسامين إلى مصر وبلاد الشام و إسطنبول مدفوعين إلى استِيحَاءِ موضوعات جديدة من البيئة الشرقية كالمدن والقلاع والمساجد والحمامات وقوافل الجمال والحريم[4].

ولنا أن نذكر بعض الأمثلة والنماذج لرسامين ومُصَوِّرين وضعوا بصماتهم في هذا الميدان، ولنبدأ بالمستشرق ديفيد روبرتس[5] الذي ترك العديد من اللوحات المائية مُرَكِّزا اهتمامه على العمارة في بيت المقدس وباب دمشق (باب العامود)[6].

أما المستشرق الفرنسي شوازل غوفيي Choiseul Gouffier (1752-1817م) فإضافة إلى منصبه كسفير لفرنسا لدى الأستانة، فقد ترك مجموعة كبيرة من الرسومات عن القلاع والقصور

---

[1] زينات بيطار، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت 1992 م، ص 32.

[2] نفسه، ص 32.

[3] نفسه، ص 38.

[4] الحيدري ، صورة الشرق...، ص 45

[5] ديفيد روبرتس (1796- 1865م) D. Roberts مستشرق ورسام اسكتلندي قام بالعديد من الرحلات إلى مدن الشرق كالإسكندرية وفلسطين، ورسم العديد من اللوحات التوثيقية التي جعلته من المستشرقين البارزين في هذا المجال، انتخب عضوا في الأكاديمية البريطانية للفنون، انظر عنه:

– مجلة أفكار، عدد 359 (كانون الأول 2018م)، ص ص 109-112.

[6] نفس المرجع.

ومظاهر الحياة الاجتماعية في إسطنبول يمكن بواسطتها تسجيل بعض الانطباعات، وهي في نظرنا تقرير صامت عن الحالة العامة للدولة العثمانية في تلك الفترة [1].

و يهمنا أيضا أن نشير إلى ما تركه المصوِّر والمستشرق غوستاف بورنفيند[2] الذي ركّز اهتمامه في الرسم والتصوير على بلاد الشام وفلسطين، فبحكم ديانته اليهودية نراه يحنُّ إلى الأرض المقدّسة التي هي في نظر اليهود وطنهم الروحي، ويعتبر هذا المستشرق في حدّ ذاته مدرسة في فن التصوير الألماني بامتياز.

لقد قدّمت لوحات ومصورات المستشرقين الغربيين صورة لعالم الشرق من وجهة نظر غربية فهي انعكاس لذهنياتهم التي تبدو أحيانا بعيدة عن الواقع بتركيزهم على الحريم والحياة داخل قصور السلاطين والرقص ومظاهر العَرْبَدَة والمجون والاحتفالات، إنّ ما جلب أنظار هؤلاء هو تلاقي أعمالهم مع المصالح الغربية التي تهدف إلى إظهار العالم الإسلامي والدولة العثمانية بمظهر يتنافى مع الواقع في كثير من الأحيان، وتجعل الشرق يبدو بمظهر البعيد عن الحضارة والأخلاق بخموله وكسله و ميله إلى اللهو.

د– كتابات القناصل و الدبلوماسيين :

---

[1] راجع الملحق رقم 4.

[2] غوستاف بورنفيند (1848–1904م) Gustav Bauernfeind مستشرق ورسام ومهندس من يهود ألمانيا، درس الهندسة في شتوتغارت سنة 1860م و الرسم في ميونيخ، قام برحلات إلى مصر وسوريا وفلسطين، له العديد من اللوحات الفنية التي بيع بعضها بالملايين من الدولارات، انظر عنه:

Lynne Thornton, The Orientalistes Panter –Travellers, ACR édition paris 1994, pp 20-21.

(انظر إحدى لوحاته في الملحق رقم 3).

إنّ أقدم الكتابات في حدود اطلاعنا تعود إلى القرن 17م وهي للمستشرق بون أُتَّفيانو[1] سفير البندقية لدى الأستانة، ومن المعلوم أنّ العلاقات بين الطرفين قديمة فالمصالح الاقتصادية بينهما مشتركة والعامل الجغرافي ساهم أيضا في دفع العلاقات قُدُمًا، رغم ما شابها من توتُّر في بعض الأحيان، نتيجة لتضارب المصالح والعداء التاريخي المسْتَحكَم بين الطرفين[2].

إنّ آراء أتّفيانو ظهرت بجلاء في مُؤَلَّفَين له عن الدولة العثمانية الأول هو سراي السلطان، و الثاني هو أسس الحكم عند الأتراك، كتبهما في نهاية مهمته الدبلوماسية في الأستانة (1602-1606م) ولم يقتصر على مجرد الحديث عن السياسة بل تعداها إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية، فقد تكلّم عن القصر العثماني (طوب قابو سراي) وعن الحريم السلطاني وأهل الذمة ومدارس القصر وموائد الطعام وشعائر الأتراك ومعتقداتهم[3].

زعم أتّفيانو أنه وَلَجَ القصر السلطاني (!) في غياب السلطان وبمساعدة من أحد مسؤولي القصر (البُستَنْجي)[4]، وهو أمر فيه مبالغة ومخاطرة، وليس لنا تصديق ذلك[5]، كما يدَّعي أيضا أنه شاهد غرفة نوم السلطان و وصَفَها بدقة [6].

كما وصف الحريم السلطاني وصفا دقيقا وأحصى أعدادهن في القصر، وأخبرنا أيضا ما يقوم به السلطان عندما يريد قضاء ليلته مع إحداهن (!)[7]، ونحن نستغرب في ذكره للتفاصيل كيف استطاع

---

[1] بون أتفيانو (1552- 1623م) Bon Ottaviano دبلوماسي ومستشرق من البندقية مارس التجارة في بداية حياته، درس الفلسفة واللاتينية و اهتم بالثقافة والأدب وخالط العلماء من أمثال غاليليو غاليلي الفلكي المشهور، ولج باب السياسة فتولى سفارة بلاده لدى إسبانيا، ثم عين سفيرا في الأستانة ثم في فرنسا مُفَوَّضًا فوق العادة، أعفي من مهامه بسبب خطأ دبلوماسي جسيم، من آثاره : سراي السلطان وأسس الحكم عند الأتراك، انظر كتابه : بون أتفيانو، سراي السلطان، تر زيد عيد الرواضية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي 2014م، ص ص 23-27.

[2] يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية ، تر عدنان محمد سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، إسطنبول 1988م ، ص177.

[3] أتفيانو، المصدر السابق، ص ص 30-31.

[4] نفسه، ص32.

[5] يتميز نظام الحماية في أجنحة الحريم السلطاني بالصرامة، فكان كل من تُسَوِّلُ له نفسه الاقتراب أو محاولة التَّلَصُّص أو النظر و لو من طرف خفي فسيكون عقابه الشنق على الفور انظر:

- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دول إسلامية مفترى عليها، ج1، المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة 1980م، ص 561.

[6] أتفيانو، المصدر السابق، ص88.

[7] أتفيانو، المصدر السابق، ص ص99-102.

أن يرى ما أشار إليه؟ نعتقد جازمين أنه بالغ إلى حد بعيد في كلامه، ولا نَتَحَرَّجُ أبدا إذا قلنا أنه مُلَفِّق، و أن كلامه يصلح لأن يكون رواية منه إلى تقرير دبلوماسي.

ويصف عقيدة الأتراك بنوع من التَّهَكُّم والسّخرية، فيذكر عادتهم في الصلاة و المساجد و في المناسبات الدينية باستغراب، والواقع أنّ المبالغة في كلامه واضحة بجلاء إلى درجة تجعل القارئ المتَمَعِّن لا يكتم ضحكه، ناهيك عمّا في الكتاب من مغالطات وسخرية من الدين الإسلامي الذي لا يذكره بالاسم بل ينسبه إلى محمّد (عليه الصّلاة والسّلام)[1].

أما المستشرق الفرنسي كليمنت هوار[2] فله اهتمامات واسعة بالتاريخ الإسلامي عامة والتاريخ العثماني خصوصا بحكم معرفته باللغات الشرقية ووظيفته كدبلوماسي، وقد استغل مهامه السياسية للاطلاع و الكتابة في التاريخ العثماني، فاهتم بجرد الكتب والمؤلفات باللغات التركية والعربية والفارسية المطبوعة في إسطنبول في النصف الثاني من القرن 19م التي تناولت موضوعات في الأدب والسياسة والتاريخ[3].

لكن الملاحظ أن هوار لم يكن موضوعيا في كتاباته عن العثمانيين، فكان ديدنه الشك والتجريح والافتراء، ولنا أن نسوق بعض الأمثلة من كتاباته، فقد تَكفَّل بتحرير بعض المواد في دائرة المعارف الإسلامية منها مادة عن السلطان بايزيد الأول (1389-1403م) الذي ركز في ترجمته له على قتل أخيه يعقوب لأنه خشي تعلُّق الرعية به، ويقول أنّ هذا العمل الإجرامي أضحى عادة جرى عليها سلاطين آل عثمان إلى غاية وقت متأخر (عهد الإصلاح)، ويصف السلطان بايزيد بالجبن

---

[1] نفسه، ص178.

[2] كليمنت هوار (1854-1927م) Clément Huar مستشرق ودبلوماسي فرنسي، تخرّج من مدرسة اللغات الشرقية، و تولى وظيفة مترجم في القنصلية الفرنسية بدمشق ثم في الآستانة التي أضحى قنصلا بها سنة 1897م، واستدعي في العام الموالي إلى باريس وعين أمين سر ومترجما في وزارة الخارجية، لكنه آثر العلم على السياسة فاشتغل بتدريس اللغات الشرقية بباريس، تولى عضوية الجمعية الآسيوية والمجمع العلمي العربي بدمشق، ونال العديد من الأوسمة من فرنسا وتركيا وإيران واليونان وغيرها من آثاره : تاريخ بغداد، قونية مدينة الدراويش المولوية، تاريخ العرب، وله مقالات قيّمة في المجلة الآسيوية ومجلة العالم الإسلامي وغيرها، انظر عنه بإسهاب :

- مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الثالث ، المجلد 7 (آذار 1927م)، ص ص 127- 128 أيضا: العقيقي، المستشرقون، ص ص 230-232.

[3] Clément Huar ,Notice des Livres Turcs ,Arabes et Persans Imprimer a Constantinople (1877-1977), Imprimer National, paris (31pages).

والفرار من المعركة و يذكر ظروف أسره من طرف المغول وقائدهم تيمورلنك (1336- 1405م) في معركة أنقرة سنة 1402م[1].

ونراه أيضا يُشَكِّك في نسب السلطان محمد الثاني (1451- 1481م) وممارسته للقتل والإبادة عند فتحه للقسطنطينية (إسطنبول)، أما نظام الانكشارية فهو في رأيه أنموذجٌ نقله العثمانيون عن البيزنطيين، ويناقض نفسه بالقول في موضع آخر بأنه نظام لا نظير له في التاريخ[2]، مما يجعلنا نكتشف جانبا واسعا من السّطحية والتحليل المتناقض للأحداث التاريخية.

ومن أمثلة الدبلوماسيين و المستشرقين الطاعنين في التاريخ العثماني أيضا نجد كرامرز[3] الذي أشار إلى أن الدولة العثمانية ما كانت لتقوم لها قائمة لولا زوال الخلافة العباسية وأنّ دخول العثمانيين للإسلام لم يكن مبكرا وأن إسلامهم مَشُوبٌ بالنصرانية التي كانت شائعة بين أتباع الطريقة البكتاشية الصوفية، وأن أسماء السلاطين فيها ما يدل على تشيُّعهم القديم[4].

ولم يَسْلَم نسب آل عثمان من التشكيك عندما أشار إلى أن عثمان لم يكن ابنا لأرطغرل، وإنما ينحدر من جماعة تركمانية سُنِّية ، لكنه يشير في ذات السياق بقوله:«...حتى إذا توفي عنه والده أرطغرل عام 1245م ...» [5]، و نتساءل هنا كيف يجتمع رأيين متناقضين في موضع واحد؟

و يتهم السلطان سليم الأول (1512- 1520م) بالاستيلاء على الحكم مع أنه ليس من حقه، وأنه قتل إخوته من أجل ذلك وساهم في اندلاع حرب أهلية، وبأنه كان نزاعا للحروب وقام باضطهاد الشيعة وقتل نحو أربعين ألف منهم لا لشيء إلا لأنه أظهر نحوهم العداوة والبغضاء[6]، كما

---

[1] موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 6، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، الشارقة 1998م، ص 165.

[2] موجز دائرة المعارف الإسلامية (77/3).

[3] جوهان هيندريك كرامرز (1891-1951م) Kramers J.H مستشرق ودبلوماسي هولندي اشتغل مترجما في السفارة الهولندية بالأستانة مابين سنتي 1915-1922م، عين أستاذا للّغتين للتركية والفارسية في جامعة ليدن، من آثاره : فن التاريخ عند الأتراك العثمانيين، علم الاجتماع الإسلامي، الإسلام و الديمقراطية و مقالات في مؤتمرات المستشرقين و دائرة المعارف الإسلامية ومجلة الأعمال الشرقية، انظر: العقيقي، المستشرقون، ص ص 670-671.

[4] موجز دائرة المعارف الإسلامية (170/5-173).

[5] موجز دائرة المعارف الإسلامية (167/5).

[6] موجز دائرة المعارف الإسلامية (5771/18).

حاول كرامرز التقليل من انتصارات السلطان على المماليك في مصر، فأشار أن انهزام المماليك كان مردّه الخيانة التي تعرّض لها قانصوه الغوري آخر حكامهم (1501م-1516م) على يد أبرز قادته وليس بسبب قوة العثمانيين[1].

أما المستشرق موردتمان[2] الذي يعرف الدولة العثمانية بحكم ولادته في إسطنبول وتضلُّعه باللغات الشرقية واختصاصه بتاريخ تركيا، فقد كتب بعض المواد المتعلقة بالقسطنطينية وحروب العثمانيين في آسيا وسِيَر بعض السلاطين، وباطلاعنا على بعض ما حرّره من معلومات نراه يشكِّك في الحديث الشريف عن فتح القسطنطينية[3] مع أنّه موثَّق في كتب الحديث[4].

يطول بنا الحديث عن آراء المستشرقين في الدولة العثمانية كدار للإسلام وممثلة للخلافة وحامية المسلمين في شتى بقاع الأرض، لذلك فقد اقتصرنا على النزر اليسير من كتاباتهم وأرائهم، لأن الأمر يحتاج إلى مجلدات حتى نَفِيَ الموضوع حقّه من الدراسة.

تعتبر كتابات هؤلاء المستشرقين وغيرهم مصدرا للكثير من المؤرخين في العالم الإسلامي رغم أنها تدل على فساد في الرأي و تُبدي وتُبطن العداء للمسلمين، لذلك وجب علينا كمسلمين تصحيح بعض المفاهيم والأفكار الهدامة ونفيها، ونعتبر هذا الأمر واجبا علينا القيام به على الوجه الصحيح.

---

[1] نفسه، ص 5774.

[2] جوهان هنريخ موردتمان (1852-1932م) Mordtman J. H مستشرق ألماني ولد في الأستانة لأب شغوف بالثقافة البيزنطية، تعلم الاستشراق في هامبورغ وليبزغ وبرلين، ثم التحق بالسلك الدبلوماسي فعين قنصلا في الأستانة، تولى تحرير بعض المواد في دائرة المعارف الإسلامية، وله العديد من الأعمال الخاصة بالبلاد العربية و التاريخ العثماني البيزنطي، انظر : العقيقي، المستشرقون، ص 745.

[3] موجز دائرة المعارف الإسلامية (21/ 831).

[4] جاء في مسند الإمام أحمد (18957/31) ما نصه: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة قال عبد الله بن أحمد: وسمعته أنا من عبد الله بن محمد بن أبي شيبة قال: حدّثنا زيد بن الحُباب قال: حدّثني الوليد بن المغيرة المعافري، قال: حدّثني عبد الله بن بشر الخَثْعَمي عن أبيه أنه سمع النَّبي ﷺ يقول: « لَتُفْتَحَنَّ القُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الجَيْشُ ذَلِكَ الجَيْشُ » انظر:

أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 31، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1999م، ص 287.

هـ- آثار الاستشراق على الدولة العثمانية:

ركّز المستشرقون اهتماماتهم على الدولة العثمانية باعتبارها مركز العالم الإسلامي وحامية بيضة الخلافة، فسعوا إلى فصلها عن امتدادها الحضاري والجغرافي، وقطع وشائج العلاقة بين شعوب العالم الإسلامي، ومن أجل ذلك شرعوا في الكتابة يشدّ اليهود من عضدهم بالتخطيط والتمويل حتى تمكنوا من إيجاد ثغرة عرقية لتوسيع الهُوَّة بين الأتراك وبين غيرهم من الشعوب.

لقد كرّست جهود المستشرقين واليهود ظهور مصطلح تفوح منه رائحة العرقية ألا وهو الطورانية أو الفكر القومي التركي، وهو مصطلح مشتق من طوران التي كانت موطنا للقبائل التركية في جنوب شرق بلاد فارس، وكان لهذه القومية دعاية واسعة في الدولة فقد دعت إلى تخليص اللغة التركية من حروفها العربية، وتكوين وحدة قومية على أساس عرقي كبديل عن الوحدة الإسلامية[1].

كان الهدف من هذا العمل فصل عُرَى الوحدة بين الترك والعرب، وهو ما حدث فعلا ما بين سنتي 1908- 1918م[2]، لأن العرب أيضا انطَلَتْ عليهم خدع الغرب بالانفصال عن الدولة العثمانية وبأنهم الأحق بالخلافة من الترك، وتحقق ذلك عمليا باندلاع الثورة العربية ضد الأتراك سنة 1916م بإيعاز من الإنجليز، الذين راهنوا على جهود المستشرق لورنس لتحقيقها فنجح في مساعيه الهدامة.

نشطت الصحافة والتعليم في ترسيخ هذه الأفكار ونشرها في الأوساط التركية، فبذلوا جهدا في المدارس لتلقين التاريخ القومي وحثّ الطلاب على التهافت عليه[3]، وظهرت مُؤَلَّفات ذاع صيتها تُنَظِّرُ لهذا التّوجُّه منها رواية بني طوران (1916م) للمؤلفة التركية خالدة أديب (1884-1964م) وهي من الثِّمار السامّة للمدارس الغربية التي زُرِعَت في إسطنبول وغيرها من حواضر الدولة

---

[1] هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية و أثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة سنة 1648م إلى نهاية القرن العشرين، ج2، دار القلم، ط1، بيروت 2002م، ص 133 (كان من أبرز دعاتها تكين ألب -ألبيرت كوهين- الذي اشتهر بوضع نظرية تهدف إلى تمويل اليهود للاقتصاد العثماني تمهيدا للسيطرة على مفاصله).

[2] زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار للنشر، ط1، بيروت 1986م، ص 81.

[3] المنار، الجزء 8، المجلد 19 (24 يناير 1917م)، ص 502.

العثمانية، فقد تلقَّت الكاتبة المذكورة دروسا في الكلية الأمريكية للبنات التي كانت تُشرِف عليها المستشرقة الأمريكية ماري ميلز باتريك Mary Mills Patrick (1850- 1940م) التي عُرِفَت بنقدها اللاذع للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي بِزَعْمِهَا مارس ضغطا على حرية التعبير وتعليم البنات وعلى والد خالدة لفصلها عن المدرسة [1]، وتشير هذه المستشرقة إلى أن الوضع تغيّر بعد الانقلاب على الخلافة سنة 1909م فظهرت «...الطالبات التركيات المسْلِمات اللواتي خَلَعْنَ البَراقِع، وبانت على وُجُوهِهِنَّ أنوار الحرية...»[2].

و الواقع أن فكرة الطورانية يهودية خالصة[3] اضطلع بها يهود سالونيك في القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن بين المستشرقين الذين تكفّلوا بهذه المهمة نذكر المستشرق اليهودي فامبيري (أشرنا إليه فيما سبق)، وقد ذكر هو بنفسه أنه أَطْلَعَ السلطان عبد الحميد الثاني عندما نزل في ضيافته على مؤلفات له باللغة و الثقافة التركية القديمة والفنانين الأتراك[4]، وكان يسعى من وراء ذلك إلى الترويج للفكر القومي الذي يَمْقُتُهُ السلطان عبد الحميد بتبنّيه لفكرة الجامعة الإسلامية.

و امتدّت دائرة الاهتمام بالقومية التركية وتوسيعها إلى مؤتمرات المستشرقين، ففي المؤتمر السادس عشر المنعقد بأثينا سنة 1912م تناول في إحدى جلساته موضوع ميل الأدب التركي إلى اللغة الطورانية[5]، وامتد التعاون بين تيار الطورانية الفكري وبين ساسة الانقلاب المنْتَمين إلى جماعة الاتحاد والترقي فتحولت من إيديولوجية إلى سياسة مورست على الأرض، وتسبّبت بعد فترة من الزمن في ظهور فكر قوي معارض للقومية التركية قاده نصارى الشرق خصوصا وتبعهم عرب الشام ومصر وتوسعت دائرة العمل حتى وصلت إلى درجة القطيعة والثورة ضد الحكم التركي[6].

---

[1] ماري ميلز باتريك، سلاطين بني عثمان ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط1، بيروت 1986م، ص 68.

[2] نفسه، ص 147.

[3] أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1997م، ص ص 166-167.

[4] Vámbéry, The Story of my Struggles, p 353.

[5] مجلة لغة العرب، السنة الثانية، ج1 ، عدد1 ، جوان 1912م، ص 25.

[6] جورج أنطونيوس، يقظة العرب، تعريب علي حيدر الركابي، مطبعة الترقي، دمشق 1946م، ص 107 وما بعدها.

وهكذا تسرَّبت الأفكار الغربية إلى عقول العرب والأتراك على حدّ سواء فأَفْرَغَتْ منها المحتوى الإسلامي وطَفِقَت تحشوها ببذور التغريب، فاستبدلوا الرابطة الإسلامية التي لا انفصام لها بأسباب التمزق والتفكك، وبذلك انقطعت الصِّلات بين المسلمين وزالت الروابط المشتركة والقيم الخلقية والأُخُوَّة الإسلامية، وفتح هذا الأمر المجال واسعا لبروز قوميات أخرى متنافسة بتشجيع من الدول الغربية الاستعمارية، فدخلت في أتون صراع قومي وعرقي أنهى الخلافة العثمانية سنة 1924م دون أن يَخْمُدَ سَعِيرُه.

المحاضرة الثامنة: اليهود و الاستشراق

استقر اليهود في الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن 15م، فقد واجهتهم في أوربا الكثير من المصاعب أهمها عدم الاستقرار السياسي، زيادة على أن الجالية اليهودية كانت غير مرحّب بها باعتبارهم من أسباب البلاء الذي حاق بأوربا بسيطرتهم على مفاصل اقتصاد بعض الدول و ممارستهم للمضاربة بالسلع و الاحتكار و تكديس الأموال، و المعروف أن اليهود كانوا يعيشون بسلام أثناء الحكم الإسلامي في الأندلس حتى سقوط آخر معاقل المسلمين في غرناطة سنة 1492م فنُصِبَت المشانِق و سُعِّرَت جحيم المحارِق للانتقام من المسلمين و اليهود على حد سواء، و تولى هذه السياسة الملك فرديناند (1479- 1516م) و زوجته إيزابيلا (1451- 1504م) وارثة عرش قشتالة.

قام الإسبان بتهجير نحو ثلاثمائة ألفا من اليهود في 2 أوت 1492م من إسبانيا و البرتغال[1] و نتيجة لذلك توجّه بعض الحاخامات إلى الأستانة يطلبون إلى السلطان العثماني مراد الثاني (1421-1451م) السماح لهم بالاستقرار و الهجرة إلى الدولة العثمانية، و قد أسرع السلطان إلى تلبية النداء و وافق على طلبهم دون شروط[2].

أ- هجرة اليهود ونشاطهم في الدولة العثمانية:

تحسّنت أحوال اليهود منذ انتقالهم إلى أراضي الدولة العثمانية و عاملهم سلاطين آل عثمان بإنسانية منقطعة و منحوهم امتيازات لتحسين أوضاعهم الاقتصادية، و تم إرسال مجموعات منهم إلى إسطنبول و أزمير و سالونيك و أدرنة و غيرها [3].

---

[1] النعيمي، المرجع السابق، ص ص 24- 25.

[2] سليمان ناجي، المفسدون في الأرض أو جرائم اليهود السياسية و الاجتماعية عبر التاريخ، مطبعة الإرشاد، دمشق 1965م، ص ص 310- 311.

[3] حسن حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 – 1909م، الدار الجامعية، ط2، بيروت 1980م، ص ص 290- 291.

ازداد تغلغل اليهود في الدولة العثمانية، و اهتمت طائفة منهم بالطباعة و النشر منذ وقت مبكر، فقد تمكنوا من إدخال المطبعة إلى إسطنبول فأداروا دواليبها و طبعوا الكتب بعدة لغات و منهم من اشتغل بالتجارة على غرار يوسف ناسي الذي اتصل بالسلطان سليم الأول (1512-1520م) و أعلن استعداده لتمويل الجهود الحربية للسلطان [1].

شارك اليهود أيضا في الحياة السياسية و البعثات الدبلوماسية إلى أوربا، و أسّسوا الصحافة التي أدت دورا بارزا في ارتفاع سقف طموحاتهم بإنشاء وطن قومي لهم بفلسطين، و أثاروا الفتنة بين العرب و الأتراك و بين الأرمن و الأتراك، و شجّعوا حركة النشر و التأليف و أغدقوا عليها من الأموال حتى شكلوا علاقات مُتَشعِّبة يصعب تفكيكها أو التعامل معها، مستغلين الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية.

ب- جهود اليهود في حركة الاستشراق:

لقد شارك اليهود في ظاهرة الاستشراق بقوة و بذلوا جهدا واضحا في التَّعرُّف على التاريخ الإسلامي، فقاموا بدراسات مُوَسَّعة عن التراث و الحضارة الإسلامية سواء بنشر المخطوطات أو بالتحقيق و الترجمة أو بالطباعة أو التنقيب، و الواقع أن هذه الجهود المضنية حرّكتها أهداف تكاد تتطابق مع الأهداف العامة للاستشراق و قد ذكرناها سابقا، و الاختلاف بسيط أملته دوافع متعلِّقة باليهود دون غيرهم.

استهدف اليهود التاريخ الإسلامي بوجه عام فراحوا يشككون و يُلَفِّقون و يفسدون و يهدمون أسسه إن استطاعوا بالتركيز على الأحداث الشاذة و الحروب و الفتن، و نستدل على ذلك باهتمامات المستشرق غولدزيهر[2] و كتاباته عن المذاهب و الفِرَق الضَّالة.

---

[1] درويش، العلاقات التركية اليهودية...، ص 42 و ما بعدها.

[2] إغناس غولدزيهر Ignase Goldziher (1850- 1921م) مستشرق يهودي مجري، درس في بودابست و برلين و ليدن، اشتغل مدرسا في جامعة بودابست ثم أستاذا كرسيا، رحل إلى سوريا في مهمة حكومية سنة 1873م، ثم فلسطين و مصر و اتصل بشيوخ الأزهر كمحمد عبده تضلَّع في اللغات السامية مهتما بتاريخ الإسلام و علومه و فِرَقِهِ و حركاته، شارك في مؤتمرات المستشرقين و كتب مقالات في المجلات الآسيوية الإنجليزية و الألمانية و الفرنسية و المجرية، انظر عنه ترجمة وافية و مُفَصَّلة في المصدر التالي الذي طُبِعَ كتأبين له بعد وفاته (طبعة خاصة)=

و ما كتبه مرغليوث[1] في المجلة الآسيوية الملكية عن العالم الإسلامي و الاعتبارات التاريخية للخلافة و دراساته عن تركيا و إيران، و هي ذات أهداف هدَّامة، و ما ورد في كتابات المتخصص في تاريخ اليهود بالجزيرة العربية المستشرق الروسي إيزنبرغ Eisenberg (؟) الذي ما كتب عنهم إلا لدعم موقفهم،كما اضطلع بتحرير مادة عن يهود الدونمة في دائرة المعارف الإسلامية[2].

نشط يهود أوربا لتشجيع فكرة القومية التركية قادها باحثون من أمثال المستشرق اليهودي المجري أرمينيوس فامبيري الذي ارتبط بعلاقات طيِّبة مع السلطان عبد الحميد الثاني عندما استقر بإسطنبول[3]، و لنا أن نذكر أيضا ليون مويز كوهين[4] العضو في جمعية الاتحاد و الترقي و أحد مُشَجِّعي فكرة الطورانية و له كتاب طوران و مدخل لتاريخ آسيا، أوضح فيه دور القبائل التركية في آسيا الوسطى و نظّر للفكر القومي التركي حتى أضحى مرجعا في هذا المجال، و في تركيزه على تاريخ تركيا القديم يحاول إبعاد الأتراك عن الإسلام و تأكيد تفوقهم الحضاري دون الحاجة إليه[5].

ج- التاريخ العثماني و الاستشراق اليهودي المعاصر:

إنّ من أشهر المستشرقين اليهود المعاصرين الذين كتبوا بإسهاب عن التاريخ العثماني برنارد لويس الذي ركّز في كتاباته على تركيا العلمانية و على دور اليهود بها، و كانت كتاباته كلها تحمل في طياتها مفاهيم خاطئة و أفكار هدامة، و نظرته للمسلمين دونية و عدائية لا تتغير، يحلل الأحداث بانتقاء و ينظر للتاريخ الإسلامي بازدراء و بِنَبْرَةِ تَعَالٍ، فهو يعتبر الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في

= Bernard Heller, Bibliographie des Oeuvres de Ignace Goldziher , Imprimerie National, paris 1927.
انظر أيضا: العقيقي، المستشرقون، ص ص 906- 908.

[1] ديفيد صامويل مرغليوث M. D Margoliouth (1858- 1940م) مستشرق يهودي إنجليزي، تخرج من مدرسة اللغات الشرقية بإكسفورد، أتقن العربية وتوظّف أستاذا لها في نفس الجامعة منذ سنة 1889م، ترأس تحرير المجلة الآسيوية الملكية، ونال عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق والجمعية الشرقية الألمانية، انظر عنه: العقيقي، المستشرقون، ص 518.

[2] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، رسالة دكتوراه مخطوطة، ج1، جامعة أم القرى 2010م، ص 255.

[3] محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، ط1، دمشق (د.ت.ط)، ص 231.

[4] ولد في سالونيك سنة 1883م وهو يهودي من أصول فرنسية، قام برحلات عديدة للبلاد العربية، اهتم بالأدب التركي و لهجات الأتراك في آسيا الوسطى وله مقالات صحفية، انظر: النعيمي، المرجع السابق، ص ص 166- 167.

[5] سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية، مر عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 2000م، ص ص 139- 140.

القرنين 15 و 16م ضد التحالفات الأوربية أنها مجرد انتصارات عابرة، و ركز في تحليله للأحداث على هزائم العثمانيين في وسط أوربا، و اختار من الروايات ما يناسب طروحاته، لكن المثير للانتباه أنه لم يشر أبدا للانتصارات المدَوِّية التي حققتها الجيوش العثمانية في حركة فتوحاتها نحو الغرب، و خَلُصَ إلى رأي متطرف مفاده أن أوربا « ...تُعاني من مشكلة الأتراك ...»[1].

و مما ذكره أيضا أن العثمانيين كانوا يرفضون إقامة صلح مع الغرب لأنهم كانوا يرون الأوربيين كَفَرَة، و أن الشريعة الإسلامية كانت تَعْتَبِرُ الكفّار الأسرى سِلَعًا تُباع و تُشْتَرى بطريقة قانونية[2](!)، كما رأى أن تقليد الأوربيين جلب فوائد عظيمة للعثمانيين خاصة في ما تعلّق بالجانب العسكري و يقول عن ذلك و بشيء من التَّهكُّم: «... كان عليهم (يقصد العثمانيين) عندئذ أن يحترموا مُرشِدِيهم الذين اعتادوا أن يحتقروهم من قبل ...»[3].

أما كلامه عن الاقتصاد العثماني فأكد أنه اعتمد على الغزو للحصول على العبيد لسد حاجيات المجتمع و أنّ أغلبهم من السلاف و الألبان و المجريين، على أن يتم تشغيلهم و استغلالهم في أعمال السَّخَرَة [4]، و يحاول إقحام اليهود و صناعة دور لهم في الحركية الثقافية التي شهدتها الدولة العثمانية التي تميَّز سكانها –حسبه– بالتخلف و الانغلاق [5].

أشار لويس إلى أنه لولا الهزائم التي لحقت بالعثمانيين في أوربا لما انتبهوا لغفلتهم و تخلفهم خاصة في ميدان السياسة و الدبلوماسية التي لم تكن ضمن مصطلحاتهم، فكان الدرس في هذه المرة واضحا على حدِّ زَعْمِه[6].

---

[1] برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا، ترجمة و تعليق و تقديم ماهر عبد القادر محمد، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 1996م، ص 50.

[2] نفسه، ص ص 52-55.

[3] نفسه، ص 58.

[4] لويس، اكتشاف المسلمين...، ص 217.

[5] نفسه، ص ص 59-85.

[6] برنارد لويس، أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، تقديم ودراسة رؤوف عباس، تر محمد عناني، إصدارات سطور، ط1، القاهرة 2003م (المقدمة).

و حسب هذا المستشرق فقد تعلّم العثمانيون الدبلوماسية من لَدُنْ الإنجليز و الهولنديين الذين قدموا يد المساعدة للعثمانيين، و مع ذلك لم يكن يَرُق للعثمانيين التعامل بدبلوماسية مع أولئك الكَفَرَة[1]، و يواصل انتقاداته للخلافة و للشرع الإسلامي في معاملته للنساء و العبيد و أهل الذمة فيشير إلى أنهم حُرِمُوا من المساواة القانونية (!) أما وضع المرأة فيذكر أنه الأسوء من بين الفئات الثلاث [2].

إن التركيز على آراء لويس في هذا الباب تجعل الحديث يطول بنا، فقد خصص سواد وقته للكتابة في تاريخ الدولة العثمانية و تركيا الحديثة في المجلات المتخصصة و في الكتب الخاصة به التي ترجمت إلى أكثر من 20 لغة، و لنا أن نذكر فقط كتبه المترجمة إلى العربية ذات العلاقة بالدولة العثمانية منها أزمة الإسلام و إسطنبول و حضارة الخلافة الإسلامية و اكتشاف المسلمين لأوربا و ظهور تركيا الحديثة و أين الخطأ؟

اعتبر لويس نتيجة هذه الجهود الأكاديمية رائدا للاستشراق اليهودي الجديد، فمع أنه مُطَّلع و مثقف ثقافة واسعة و له معرفة عريضة باللغات الشرقية و مصادر التاريخ العثماني، لكن له طريقة خاصة في صياغة أفكاره بممارسة الافتراء و المغالطة و تحريف النصوص و تطويعها و العبث بأذهان القراء و اعتماد مصادر ضعيفة، و كل كتاباته تفوح منها رائحة السياسة و هي مُفْعَمَة بمشاعر العِداء للتاريخ الإسلامي كَونُه صهيونيٌ حتى النّخاع.

---

[1] لويس، أين الخطأ؟...، ص ص 36 و 44.

[2] نفسه، ص 104.

– لنا أن نورد رأيا للمستشرق الإنجليزي توماس أرنولد يُفَنِّدُ ما ذهب إليه لويس في معاملة المسلمين لأهل الذمة) يقول أرنولد: « ...أما عن العبودية و السفاهات..فأقول إن المسيحيين كانوا في ظل الحكم العثماني على درجة كبيرة من الاحترام و التقدير...و اهتم بعض سلاطين الدولة لإضفاء طابع الرعاية الكاملة على المسيحيين، و ذلك شيء افتقده المسيحيون في عهودهم السابقة...» لتفصيل أكثر انظر:

– توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تر حسن إبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1971م، ص 170 و ما بعدها.

أما المرأة فلا يوجد دين حفظ للمرأة كرامتها و عزّتها غير الإسلام، و حَسْبُنا الاطلاع على القرآن الكريم لنستدل على ذلك، و يكفي النساء فخرا نزول سورة باسمهن، و في سيرة الرسول صلى الله عليه و سلّم من الأمثلة ما يُخْرِسُ الأَلْسُن التي تنتقد الإسلام في هذا الجانب.

أما المستشرق الأمريكي ستانفورد شو[1] فيُعَدُّ هو الآخر عَلَمًا من أعلام اليهود المهتمين بالكتابة عن الدولة العثمانية وله كتاب تاريخ الإمبراطورية العثمانية كتبه بالتعاون مع زوجته آزل قورال شو و هي ابنة حاخام يهود مدينة إسطنبول، و قد ساعدته مصاهرته هذه على توسيع علاقاته و فتحت له المجال واسعا للبحث بجدية، بعد أن أصبح عضوا شرفيا في الجمعية التاريخية التركية في أنقرة و غيرها من الجمعيات الفاعلة تاريخيا و سياسيا، و تَسَلَّم نيشان الشرف من الرئيس التركي كما نال عضوية المجامع التاريخية في أمريكا و تركيا [2].

يُعَدُّ ستانفورد أنموذجا للمستشرقين المعاصرين المثابرين و الجادين في حركة البحث، يحصل على المعلومات من أصولها، و له باع في التعامل مع الأرشيف و الوثائق المتوفرة في إسطنبول و أنقرة وباريس و فينا، لكنه اعتمد الدس و الافتراء و التحايل، و مع ذلك لا تكاد تخلو بحوث و مؤلفات المؤرخين الشرقيين المسلمين من كتابات هذا المستشرق، و فوق ذلك كله أنّ اعتماده في تغطية رحلاته البحثية و تآليفه كان على مساعدات معتبرة من شركات عملاقة على غرار شركة فورد لصناعة السيارات [3].

جعل ستانفورد لليهود في الدولة العثمانية حَيِّزا واسعا، فهو يعترف بفضل الدولة العثمانية في استقبالهم و ضمان حمايتهم بعد حملة الاضطهاد التي تعرضوا لها في أوربا عامة و في إسبانيا على وجه الخصوص، و قدّم إحصاءً لإعدادهم مستندا إلى مصادر عثمانية[4]، كما تتبَّع أحوال اليهود منذ القرن 17م و حتى القرن 20م و أهم الأحداث التي مرّت بها الدولة العثمانية، و أشار إلى

---

[1] ستانفورد جاي شو Stanford Jay Shaw (1930-2006م) مستشرق أمريكي ولد في الولايات المتحدة الأمريكية و توفي بأنقرة، تعلم في أمريكا و تخصص في تاريخ الشرق الأدنى، و كان مطلعا على اللغتين العربية و التركية و الفارسية، حصل على شهادات عليا في إنجلترا و في مصر، تمكن بفضل علاقاته الواسعة من الاطلاع على الأرشيف العثماني، تولى التدريس في الجامعات الأمريكية متخصصا في التاريخ العثماني و التركي كما ألف مع زوجته آزل شو كتابا في مجلدين عن الإمبراطورية العثمانية و تركيا الحديثة، و له ميزانية مصر العثمانية في القرن 18م، و مصر العثمانية خلال الحرب الفرنسية و غيرها من الأبحاث و المقالات انظر كتابه:

- ستانفورد .ج. شو، يهود الدولة العثمانية و الجمهورية التركية، تر الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير للثقافة و العلوم، ط1، مصر 2015م، ص ص 23- 25.

[2] نفسه، ص 24.

[3] محمد حرب، العثمانيون في التاريخ و الحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركي، القاهرة 1994م، ص 76.

[4] ستانفورد شو، المرجع السابق، ص 29.

اندماجهم في المجتمع التركي فأصبحوا –حسبه– طرفا اجتماعيا و سياسيا فاعلا في أعقاب سقوط الخلافة العثمانية و ظهور ما أطلق عليه الجمهورية التركية.

يحاول ستانفورد تضخيم دور اليهود من أنهم ساهموا في دفع عجلة الاقتصاد العثماني، و كأنه أراد القول أن اليهود ساعدوا العثمانيين في ازدهار الدولة كعربون للمعاملة الحسنة التي تَلَقَّوها من سلاطين آل عثمان بعد طردهم من الأندلس وتشريدهم.

إنّ آراء ستانفورد في كتابه هذا جديرة بالاطلاع لكن وجب التعامل معها بحذر لأن جهوده الاستشراقية مرتبطة أساسا بالمشاريع الصهيونية التي لجأت إلى إنشاء علاقات متشعبة وصولا إلى أهدافهم بإنشاء وطن قومي لهم، و حماية نفوذهم باستخدام مختلف الأساليب اللامشروعة.

و لا يسعنا في هذا المجال إلا أن نبرز التعاون الوثيق بين الاستشراق و بين الحركة الصهيونية لإيجاد وطن قومي لليهود بأرض فلسطين، و برزت هنا جهود هرتزل[1] أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية الذي سعى بفضل علاقاته الواسعة في هذا الاتجاه، فاتصل بالأوساط الدينية في الفاتيكان بداية الأمر، ثم لجأ إلى ألمانيا التي كانت على علاقة طيبة مع الباب العالي من أجل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، لكن ألمانيا فضّلت أن تحافظ على متانة علاقاتها مع السلطان العثماني بدلا من دعمها لليهود[2].

و لجأ هرتزل بعد هذه الجهود إلى المستشرق اليهودي فمبيري و كان آنذاك في المجر مُدَرِّسا للّغات الشرقية في جامعة بودابست، و قابله في غرة ماي 1901م و عَرَضَ عليه التَّوَسُّط لمقابلة السلطان عبد الحميد له لما له من علاقات جيدة معه، و بِحُكم أنّ فمبيري من نفس ملَّة هرتزل فقد وافق على ذلك، لكنه أوصاه بعدم إثارة الحديث عن الصهيونية لأن للسلطان عبد الحميد حساسية

---

[1] تيودور هرتزل (1860– 1904م) Teodor Herzel من يهود المجر، أديب وسياسي يعتبر المؤسس الفعلي للحركة الصهيونية العالمية، سعى إلى جمع المال من رجال الأعمال اليهود في أوربا لإقامة وطن قومي يجمع شتات اليهود في فلسطين مُستَعينا في سبيل ذلك بالخلافة العثمانية و ألمانيا وإنجلترا، دعا إلى عقد أول مؤتمر صهيوني في بازل سنة 1897م، توفي في فينا ونُقِلَت رفاته إلى القدس سنة 1949م ودفن قرب جبل سُمِّي باسمه لاحقا، له كتاب "دولة اليهود" و "أرض الميعاد"، انظر:

– أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، تر أحمد بركات العجرمي، دار الجليل للنشر، ط1، عمان 1988م، ص ص 154– 155.

[2] درويش، العلاقات التركية اليهودية...، ص ص 326–327.

مُفْرِطَة تجاه الموضوع، و الحديث عن فلسطين بالنسبة له أمرٌ مُقَدَّسٌ مِثْلُهُ مثل الحديث عن مكّة المكرّمة [1].

استقبل السلطان عبد الحميد هرتزل في إسطنبول و دار بينهما حديثٌ مستفيض، و استغل الزعيم الصهيوني الفرصة لإغراء السلطان بالمال، فعرض عليه قرضا بقيمة مليوني ليرة عثمانية مع استعداد اليهود لدعم الدولة العثمانية اقتصاديا، و هدايا مالية للسلطان نفسه، لكنّ المقابلة انتهت برفض مطلق من السلطان لهذا العرض [2].

كان موقف السلطان عبد الحميد واضحا و حاسما كسب به احترام المسلمين حيا و ميتا و ترك جملة ظلّت ماثلة في عَقِبِهِ إلى يوم يُبْعَثُون باعتراف اليهود أنفسهم قال فيها: «... إنّ فلسطين هي مُلْكٌ للمسلمين و ليست مُلْكًا للسلطان عبد الحميد...»[3].

استغل اليهود كل الوسائل من أجل تنفيذ مخططاتهم، و كان من بينها الاستشراق بوصفه مؤثرا من الناحية الفكرية و يمهد للغزو الثقافي الذي كانت الدولة العثمانية إحدى أهدافه، فصورة السلطان عبد الحميد المشَوَّهَة في المصادر التاريخية مَرَدُّها موقفه من مخططاتهم، و الدليل على ذلك أن الحركة الصهيونية ما كانت لتحصل على فلسطين لو استمر حكم السلطان عبد الحميد.

عمل الاستشراق اليهودي المتَصَهْيِن، على تَبَنِّي الدراسات الاستشراقية المعادية للإسلام و للتاريخ الإسلامي و العرب، فقام بجهود حثيثة لنشرها و دعمها ماديا و بسخاء بفضل الأموال التي قامت الشركات متعددة الجنسيات بضخّها باستمرار، و قد حملت الأفكار السائدة في كتابات المستشرقين اليهود سواء المهتمين بتاريخ الإسلام في العصور الأولى أو في الفترة الحديثة و المعاصرة نصيبا وافرا من الدس و الافتراء و التحريف و التجريح و تعبئة الرأي العام العالمي عبر وسائل الإعلام المختلفة التي يديرونها بعناية للتأثير على المسلمين في مختلف الأصعدة.

---

[1] Charles Zorgbib, Terres Trop Promises (Une Histoire du Proche Orient éditions La Manufacture), Paris 1991, p 30.

[2] السلطان عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد، تر محمد حرب، دار القلم، ط3، دمشق 1991م، ص 28.

[3] Zorgbib, Op cit, p30.

خاتمة:

لقد اتضح أن الاستشراق كان من معاول الهدم التي استخدمها الغرب ضد العالم الإسلامي، فهو لا يختلف في حجم ضرره عن الأسلحة المستخدمة في الحروب، بل نرى أنه أعظم ضررا وتأثيرا منها على الصعيدين الحضاري والفكري.

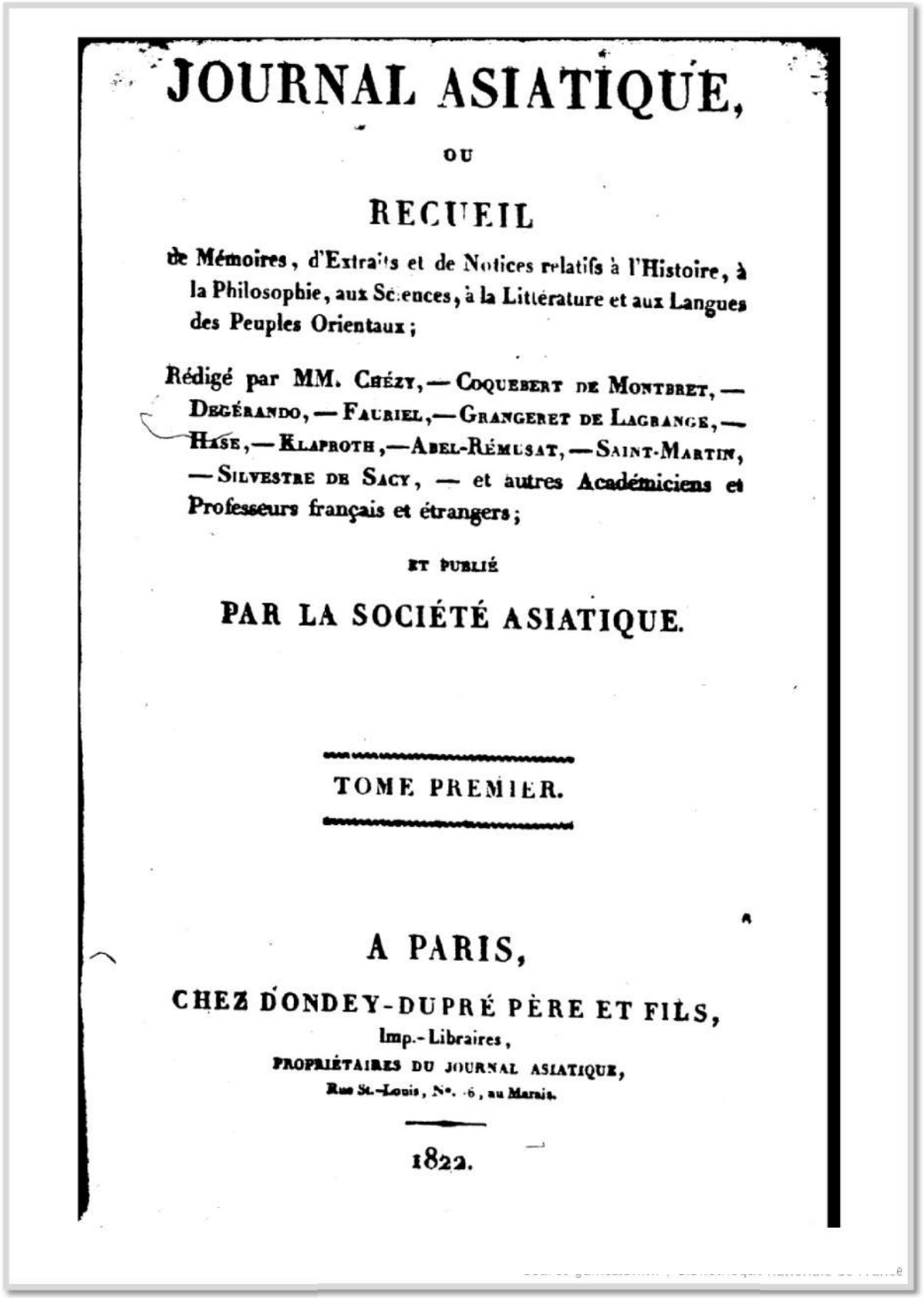
كانت الدارسات الاستشراقية خلف كل الشبهات والدعوات الخطيرة والهدامة التي تسببت في تهاوي أركان الخلافة الإسلامية العثمانية، فأحدثت تحولات سيئة أثرت في واقع المسلمين بالنظر إلى أنواع الدس والتحريف في المناهج والتجريح والافتراء والتآمر بين دفّات التآليف و الجهود العملية، يشدُّ من عضدهم اليهود والقوى الاستعمارية اعتمادا على فئة من أبناء المسلمين الطاعنين في دينهم وتاريخهم وواقعهم بدعوى الحرِّية و التَّحَضُّر ومواكبة التطور.

إنّ كتابات الكثير من المستشرقين تدل على فساد في الرأي وفكر مسموم و استعلائي للنيل من الحضارة الإسلامية وتشويه صورتها و تاريخها المضيء، ونستثني هنا طائفة ممّن صححوا أفكارهم و اقتنعوا بالإسلام كدين وحضارة و ساهموا بتفاوت في إعطاء نظرة إيجابية عن المسلمين من باب الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم.

وَجَبَ علينا في الأخير كمسلمين مهتمين بالتاريخ تصحيح بعض المفاهيم والأفكار الخاطئة وذلك بإثبات حضور المسلمين علميا في الغرب والتعريف بتاريخنا العريق لمن لا يعرفونه، أو الذين وصلتهم أفكار خاطئة عنه، فنحن أولى بكتابة تاريخنا والتعريف به من أولئك المستشرقين.

الملاحق:

الملحق رقم 1: غلاف أول عدد للمجلة الآسيوية الفرنسية



JOURNAL ASIATIQUE,

OU

RECUEIL

de Mémoires, d'Extraits et de Notices relatifs à l'Histoire, à la Philosophie, aux Sciences, à la Littérature et aux Langues des Peuples Orientaux;

Rédigé par MM. CHÉZY, — COQUEBERT DE MONTBRET, — DEGÉRANDO, — FAURIEL, — GRANGERET DE LAGRANGE, — HASE, — KLAPROTH, — ABEL-RÉMUSAT, — SAINT-MARTIN, — SILVESTRE DE SACY, — et autres Académiciens et Professeurs français et étrangers;

ET PUBLIÉ

PAR LA SOCIÉTÉ ASIATIQUE.

TOME PREMIER.

A PARIS,

CHEZ DONDEY-DUPRÉ PÈRE ET FILS,

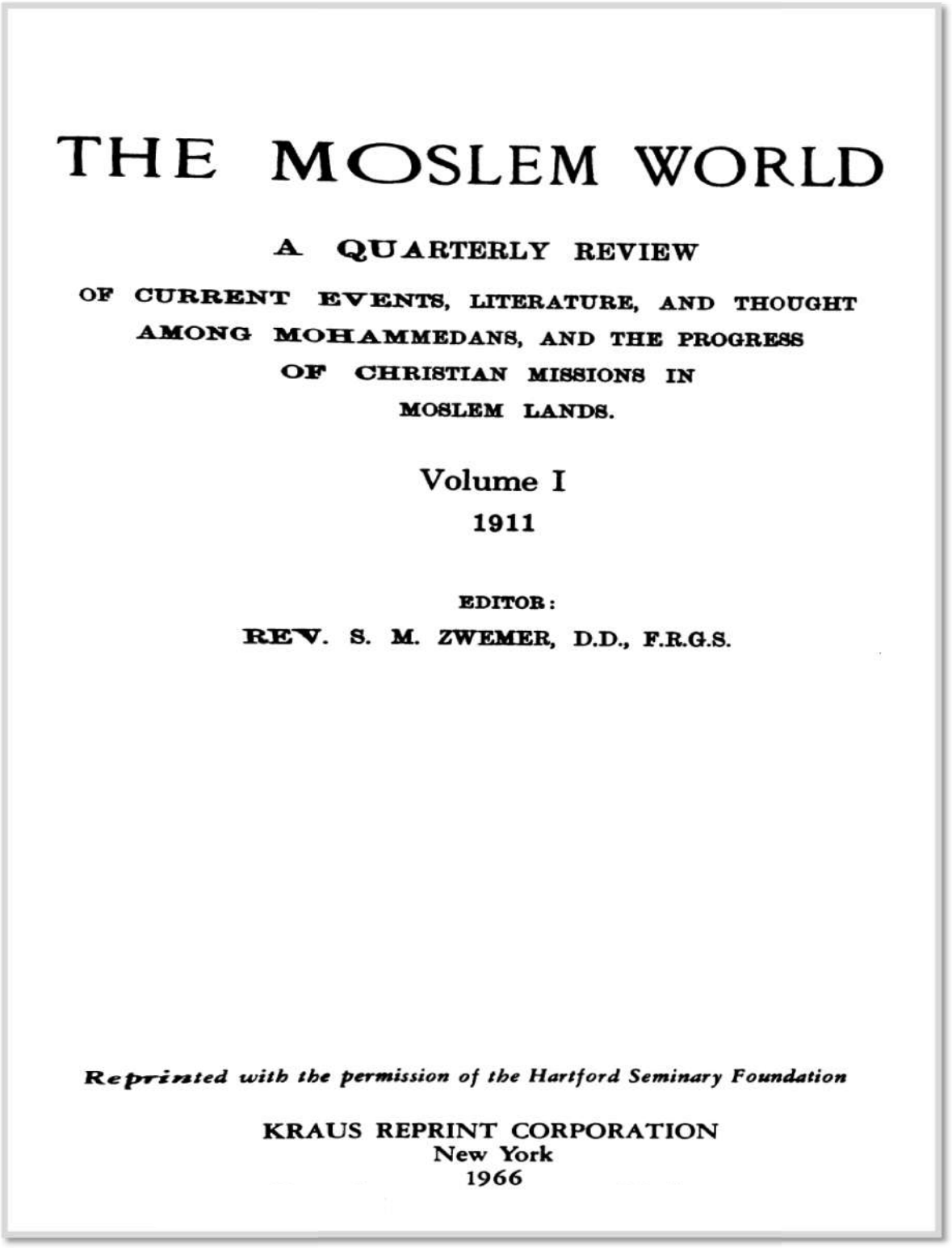
Imp.-Libraires,

PROPRIÉTAIRES DU JOURNAL ASIATIQUE,

Rue St.-Louis, N°. 46, au Marais.

1822.

الملحق رقم 2: غلاف مجلة العالم الإسلامي التبشيرية التي أشرف عليها المستشرق زويمر



THE MOSLEM WORLD

A QUARTERLY REVIEW

OF CURRENT EVENTS, LITERATURE, AND THOUGHT
AMONG MOHAMMEDANS, AND THE PROGRESS
OF CHRISTIAN MISSIONS IN
MOSLEM LANDS.

Volume I
1911

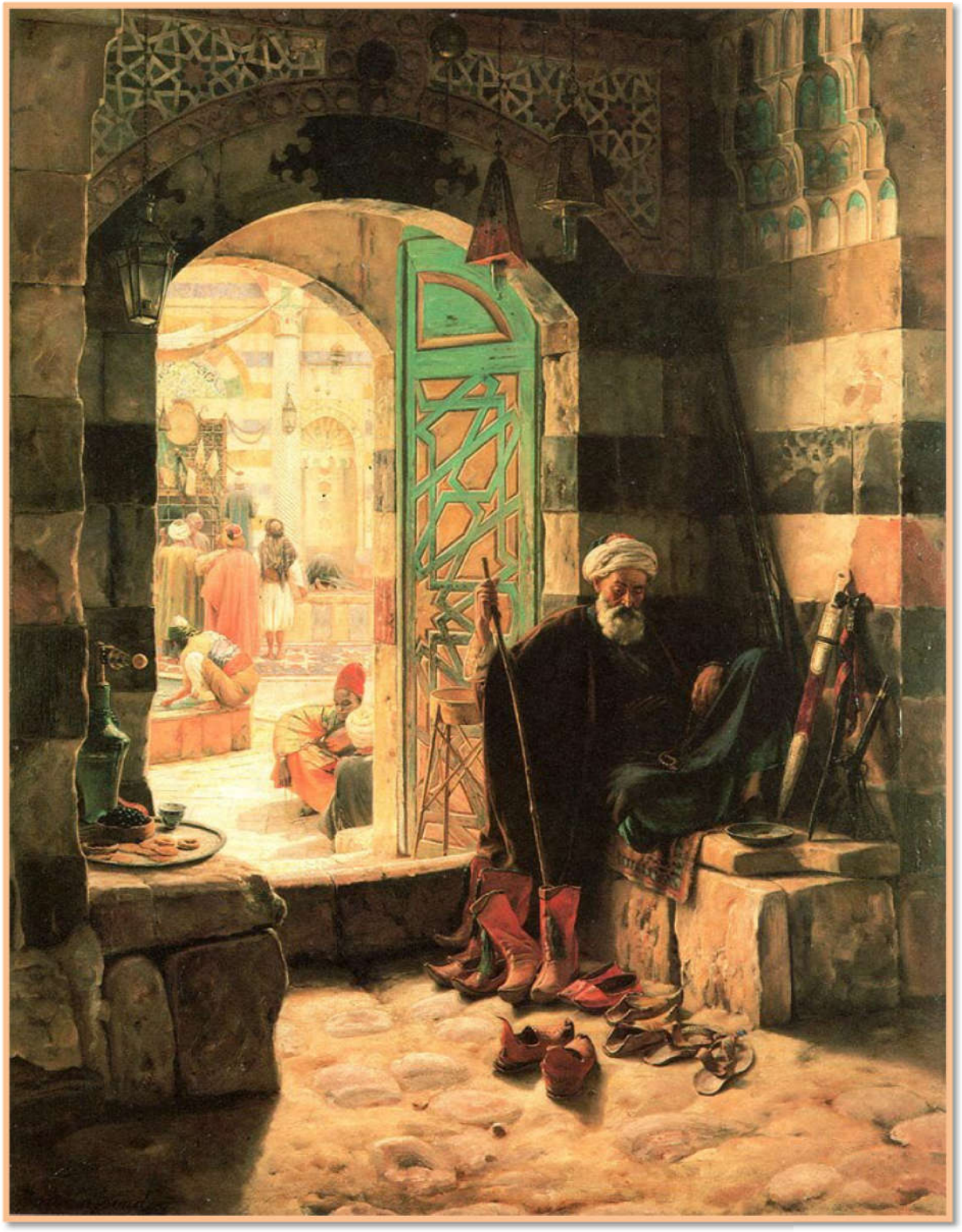
EDITOR:
REV. S. M. ZWEMER, D.D., F.R.G.S.

Reprinted with the permission of the Hartford Seminary Foundation

KRAUS REPRINT CORPORATION
New York
1966

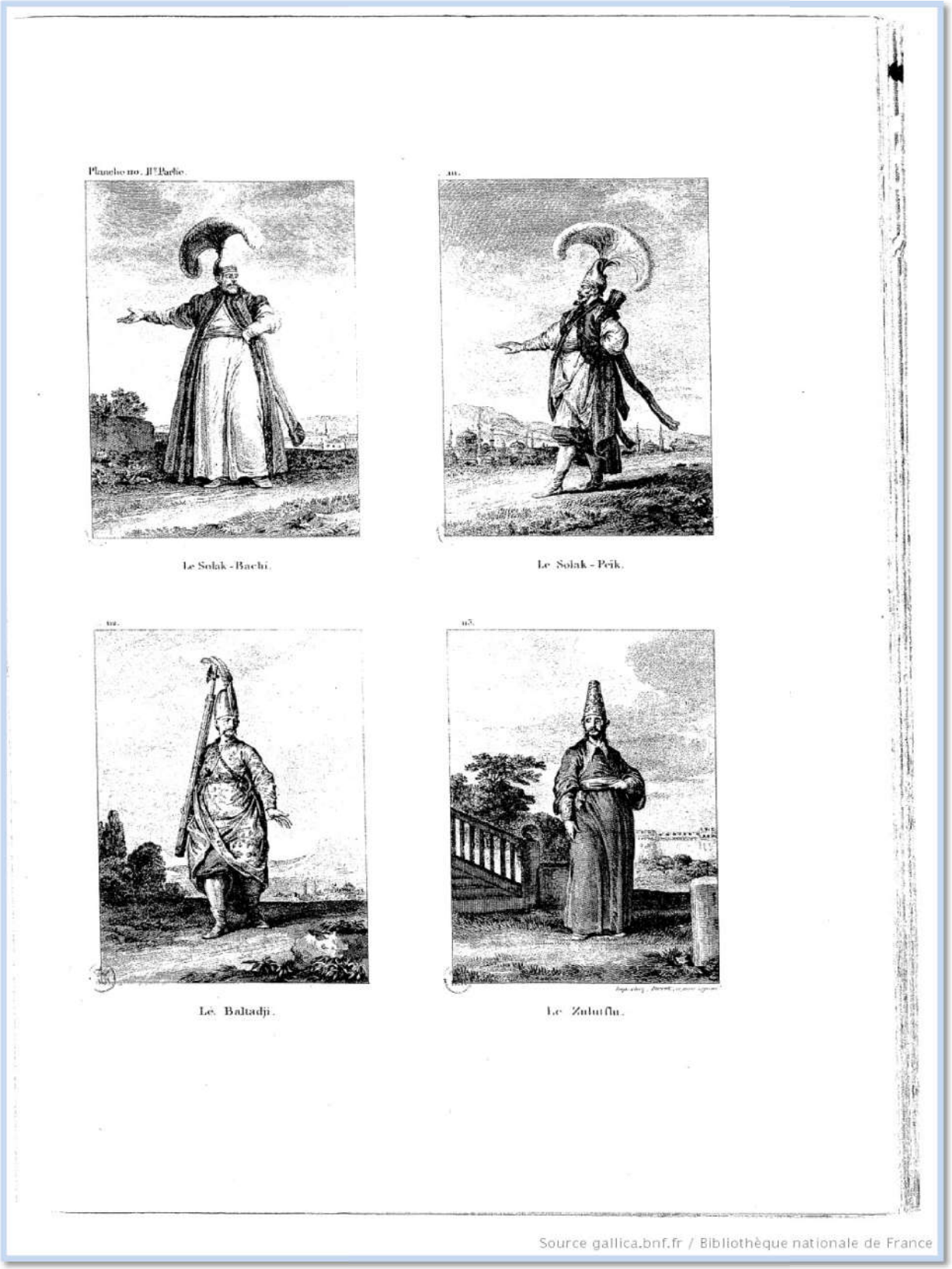
الملحق رقم 3:

لوحة بوابة الجامع الأموي الكبير في دمشق سنة 1891م للمستشرق غوستاف بورنفيند[1]



[1] Lynne Thornton, The Orientalists painter-travellers, ACR édition, Paris 1994, p 20.

الملحق رقم 4: رسوم تمثل بعض الرتب العسكرية العثمانية[1]



1) Comte De Choiseul Gouffier, Voyage Pittoresque dans l'Empire Ottomane, Tome 1er, Libraire de J.P Ailland, Paris 1842, p 345.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

أ- العربية والمُعرَّبة:

1- أتّفيانو (بون)، **سراي السلطان** ، تر زيد عيد الرواضية ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي 2014م.

2- أرنولد (توماس)، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تر حسن إبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1971م.

3- أنطونيوس (جورج)، **يقظة العرب**، تعريب علي حيدر الركابي، مطبعة الترقي، دمشق 1946م.

4- باتريك (ماري ميلز)، **سلاطين بني عثمان**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط1، بيروت 1986م.

5- بارت (رودي)، **الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه)**، تر مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة 1970م.

6- ابن حنبل (أحمد بن محمد)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج 31، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1999م.

7- زويمر (صامويل)، **طريق المحبين إلى قلوب المسلمين**، اللجنة التبشيرية للإرساليات الأمريكية، القاهرة (د.ت.ط).

8- سكرسيا (بيانكا ماريا)، **العالم الإسلامي**، ترجمة سمير سعيد، دار ابن خلدون، القاهرة 1984م.

9- **عبد الحميد الثاني** (السلطان)، مذكرات السلطان عبد الحميد، تر محمد حرب، دار القلم، ط3، دمشق 1991م.

10- **فان دايك** (إدوارد)، **إكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، دار صادر، بيروت 1896م.

11- **لوشاتلييه** (الفرد)، **الغارة على العالم الإسلامي**، تعريب مساعد الباقي و محب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط2، جدة 1387هـ.

12- **لويس** (برنارد)، **إكتشاف المسلمين لأوروبا**، تر و تعليق و تقديم ماهر عبد القادر محمد، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 1996م.

13- --------، **أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين**، تقديم ودراسة رؤوف عباس، تر محمد عناني، إصدارات سطور، ط1، القاهرة 2003م.

الأجنبية:

1- **Gouffier** (Comte De Choiseul), **Voyage Pittoresque dans l'Empire Ottomane**, 1er, Libraire de J.P Ailland, Paris 1842.

2- **Heller** (Bernard), **Bibliographie des Oeuvres de Ignace Goldziher** , Imprimerie National, paris 1927.

3- **Huar** (Clément) , **Notice des Livres Turcs ,Arabes et Persans Imprimer a Constantinople (1877-1977)**, Imprimer National, paris.

4- **Treaties between Turkey and Foreign Powers 1535-1855**, Foreign Office, London 1855.

5- **Vambéry** (Arminius), **The Life and Adventures of Arminius Vambéry** with an appreciation by Max Nordou, Frederick A. stokes company publishers, New York

6- **----------**, **The story of my struggles the memoirs of Arminius Vambéry**, vol II, T, Fisher Unwin Patermoster sqare, London 1904.

- **القواميس والموسوعات:**

أ- **العربية:**

1- **ابن منظور** (جمال الدين الأنصاري)، **لسان العرب**، ج2، دار صادر، ط3، بيروت 1414هـ.

2- **بدوي** (عبد الرحمان)، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، ط3، بيروت 1993م.

3- **تلمي** (أفرايم ومناحم)، **معجم المصطلحات الصهيونية**، تر أحمد بركات العجرمي، دار الجليل للنشر، ط1، عمان 1988م.

4- **الرازي** (زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي)، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت 1999م.

5- **الزبيدي** (محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المجلد 25، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1965م.

6- **صابان** (سهيل)، **المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية**، مر عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 2000م.

7- **العقيقي** (نجيب)، **المستشرقون**، دار المعارف، ط3، القاهرة 1964م.

8- **مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة**، ج2، إشراف و تخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، ط4، الرياض 1420هـ.

9- **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، (الأجزاء 3، 6، 21)، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، الشارقة 1998م.

ب- **الأجنبية:**

1- **Larousse French English Dictionary**, Canadian Edition, New York the world book en Encyclopedia, Vol 14, USA 1964.
2- **Nouvelle Encyclopédie Théologique**, Tome 3eme, J. P Migne Editeur, Paris 1851.

- **المجلات والدوريات:**

أ- **العربية:**

1- **مجلة أفكار**، عدد 359، ديسمبر 2018م.

2- **مجلة الزهراء**، ج7-8، 1 جويلية 1927م.

3- **مجلة الفكر العربي**، المجلد 5، عدد 32، جوان 1938م.

4- **مجلة المجمع العلمي العربي**، المجلد 1، يناير1921.

5- ----------، المجلد 7، آذار 1927م.

6- ----------، المجلد 23، تموز 1948م.

7- **مجلة الهلال**، عدد1، يناير 1955م.

8- -------، عدد 3، مارس 1986م.

9- -------، عدد 4، نوفمبر 1997م.

10- **مجلة لواء الإسلام**، المجلد 4، عدد 6، صفر 1370هـ/ نوفمبر 1950م.

11- **مجلة مجمع اللغة العربية الملكي**، الجزء الأول، أكتوبر 1934م، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة 1935م.

12- **مجلة المقتطف**، السنة 22، الجزء الأول، 1 يناير 1898م.

13- **مجلة المنار**، مج17، ج1 (28 ديسمبر 1913م).

ب- الأجنبية:

1- Revue du Monde Musulman, Tome 1er, Ernest Leroux Ed, Paris 1907.

- **المراجع:**

أ- العربية و المُعرَّبة:

1- ابن إبراهيم (بن عبد الله ناصر آل تويم)، **صمويل زويمر حياته وجهوده التنصيرية**، مطبعة العبيكان، ط1، الرياض 2017م.

2- إدريس (محمد جلال)، **الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العربية المعاصرة**، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة 2003م.

3- أورتايلي (إيلبر)، **إعادة استكشاف العثمانيين**، تر بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت 2012م.

4- أوزتونا (يلماز)، **تاريخ الدولة العثمانية**، عدنان محمد سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، إسطنبول 1988م.

5- البهي (محمد)، **الفكر الإسلامي و صلته بالاستعمار الغربي**، مكتبة وهبة، القاهرة 1981م.

6- بيطار (زينات)، **الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي** ، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت 1992م.

7- تاج (محمد قدور)، **الاستشراق ماهيته و فلسفته و مناهجه**، دار الرواد، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع، ط1، عمان 2014م.

8- الجابري (محمد عابد)، **الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية طبيعتها و مكوناتها الإيديولوجية و المنهجية**، الجزء الأول، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، الرياض 1985م.

9- **جريشة** (علي محمد) و **الزيبق** (محمد شريف)، **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، دار الاعتصام، ط3، المدينة المنورة 1979م.

10- **الجندي** (أنور)، **كيف يحطم المسلمون قيد التبعية و الحصار**، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت 1985م.

11- -------، **معالم تاريخ الإسلام المعاصر**، دار الاعتصام، القاهرة 1987م.

12- **حرب** (محمد)، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، دار القلم، ط1، دمشق (د.ت.ط).

13- -------، **العثمانيون في التاريخ و الحضارة**، المركز المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركي، القاهرة 1994م.

14- **حلاق** (حسن)، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 – 1909م**، الدار الجامعية، ط2، بيروت 1980م.

15- **حمدان** (نذير)، **مستشرقون سياسيون– جامعيون– مجمعيون**، مكتبة الحديث للنشر و التوزيع، ط1، جدة 1988م.

16- **الحيدري** (إبراهيم)، **صورة الشرق في عيون القرب** (دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي) ، دار الساقي، ط1، بيروت 1996م.

17- **الخالدي** (مصطفى) و **فروخ** (عمر)، **التبشير و الاستعمار في البلاد العربية**، المكتبة العلمية، بيروت 1953م.

18- **الخربوطلي** (علي)، **المستشرقون و التاريخ الإسلامي**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة 1988م.

19- **خليل** (أحمد إبراهيم)، **المستشرقون و المبشرون في العالم العربي و الإسلامي**، مكتبة الوعي العربي، القاهرة 1964م.

20- **درويش** (هدى)، **العلاقات التركية اليهودية و أثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة سنة 1648م إلى نهاية القرن العشرين**، ج2، دار القلم، ط1، بيروت 2002م.

21- **زقزوق** (محمود حمدي)، **الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، دار المعارف، القاهرة 1997م.

22- **الزيادي** (محمد فتح الله)، **الاستشراق أهدافه و وسائله**، دار قتيبة، ط1، طرابلس 1998م.

23- **زيدان** (ناصر)، **دور روسيا في الشرق الأوسط و شمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتن**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت 2013م.

24- **زين** (نور الدين زين)، **نشوء القومية العربية مع دراسته تاريخية في العلاقات العربية التركية**، دار النهار للنشر، ط1، بيروت 1986م.

25- **السامرائي** (قاسم)، **الاستشراق بين الموضوعية و الافتعالية**، دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع، ط1، الرياض 1983م.

26- **سامي** (الحاج سالم)، **نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية**، ج1، دار المدار الإسلامي، ط1، بنغازي 2002م.

27- **السباعي** مصطفى، **الاستشراق و المستشرقون (مالهم و ما عليهم)**، دار الوراق للنشر و التوزيع (ب.ت.م.ن).

28- **سرى** (طارق)، **المستشرقون و منهج التزوير و التلفيق في التراث الإسلامي**، مكتبة النافذة، ط1، القاهرة 2006م.

29- **سعيد** (إدوارد) ، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، تر محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة 2006م.

30- **سلطان** (جمال)، **الغارة على التراث**، مكتبة السنة، ط1، الرياض 1990م.

31- **شاخت** (جوزيف) و **بوزورث** (كليفورد)، **تراث الإسلام**، ج1، تر محمد زهير السنهوري و آخرون، تعليق و تحقيق شاكر مصطفى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1978م.

32- **شلبي** (عبد الجليل)، **معركة التبشير و الاسلام (حركات التبشير و الإسلام في آسيا و إفريقيا و أوربا)**، مؤسسة الخليج العربي، ط1، القاهرة 1989م.

33- **شلبي** (عبد الودود)، **أفيقوا أيها المسلمون**، الدار السعودية، جدة 1981م.

34- **الشناوي** (عبد العزيز)، **الدولة العثمانية دول إسلامية مفترى عليها**، ج1، المكتبة الإنجلو مصرية ، القاهرة 1980م.

35- **شو** (ستانفورد .ج)، **يهود الدولة العثمانية و الجمهورية التركية**، تر الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير للثقافة و العلوم، ط1، مصر 2015م.

36- **علي** (جواد)، **تاريخ العرب في الإسلام**، ج 1، دار الحداثة بيروت (د.ت.ط).

37- **عيسى** (عبد الرازق)، **التنصير الأمريكي في بلاد الشام 1834- 1914م**، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 2005م.

38- **الغزالي** (محمد)، **دفاعا عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين**، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، ط7، القاهرة 2005م.

39- **الميداني** (عبد الرحمان حسن حنبكة)، **أجنحة المكر الثلاث و خوافيها (التبشير و الاستشراق و الاستعمار)**، دار القلم، ط8، دمشق 2000م.

40- **ناجي** (سليمان)، **المفسدون في الأرض أو جرائم اليهود السياسية و الاجتماعية عبر التاريخ**، مطبعة الإرشاد، دمشق 1965م.

41- **ابن نبي** (مالك)، **إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث**، مكتبة عمار، القاهرة 1970م.

42- **النعيمي** (أحمد نوري)، **اليهود و الدولة العثمانية**، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1997م.

43- **النملة** (علي بن إبراهيم)، **الاستشراق في الأدبيات العربية**، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض 1993م.

ب- الأجنبية:

1- **Thornton** (Lynne), **The Orientalistes Panter –Travellers**, ACR édition paris 1994.

2- **Vander Werff** (Lyle L.), **Christian Mission to Muslims the Record**, Anglican reformed approaches in India and the Near East 1800-1938, William George library Pasadena (USA), 2000.
3- **Zorgbib** (Charles), **Terres trop promises** (Une Histoire du Proche Orient éditions La Manufacture), Paris 1991.

- **الأطروحات و الرسائل الجامعية:**

1- **الغازي** (أماني بنت جعفر بن صالح)، **الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية**، ج1، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة أم القرى 2010م.

الفهرس:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
المحاضرة الأولى: الاستشراق مفهومه و نشأته و مجاله الجغرافي.....	**4**
أ- مفهوم الاستشراق.....	4
ب- نشأته.....	5
ج- مجاله الجغرافي.....	7
المحاضرة الثانية: المستشرقون المصطلح و الدوافع.....	**10**
أ- المصطلح.....	10
ب- الدوافع.....	11
• الدافع الديني.....	11
• الدافع الاستعماري.....	13
• الدافع الاقتصادي.....	16
• الدافع العلمي.....	17
المحاضرة الثالثة: فئات المستشرقين و موقف أهل الشرق منهم.....	**19**
أ- فئات المستشرقين.....	19
ب- موقف أهل الشرق منهم.....	20
• الموقف الأول.....	20
• الموقف الثاني.....	21
المحاضرة الرابعة: مناهج المستشرقين.....	**22**
أ- منهج البناء والهدم.....	22
ب- المنهج الإسقاطي.....	22
ج- المنهج الفيلولوجي(التفكيكي).....	23
د- منهج الفرضية والشك.....	23

هـ- منهج المطابقة.....	23
و- المنهج التاريخي.....	24
ز- المنهج الانتقائي.....	25
المحاضرة الخامسة: مظاهر النشاط الاستشراقي.....	**27**
أ- جمع المخطوطات وتحقيقها.....	27
ب- تأليف الكتب.....	28
ج- إصدار المجلات.....	28
د- تأليف الموسوعات.....	29
هـ- تأسيس الجمعيات الجغرافية.....	30
و- إلقاء المحاضرات.....	33
ز- عقد المؤتمرات.....	33
ح- كراسي اللغات الشرقية.....	35
ط- المجامع العلمية واللغوية.....	36
المحاضرة السادسة: الاستشراق و التبشير (التنصير).....	**39**
أ- دوافع النشاط التبشيري (التنصيري).....	40
• الدافع الديني.....	40
• الدافع السياسي والمادي.....	40
• الدافع الحضاري.....	41
ب- التبشير في البلاد العثمانية.....	41
المحاضرة السابعة: الاستشراق و الدولة العثمانية.....	**48**
أ- الرحلات.....	48
ب- البعثات الأثرية.....	51
ج- الرسم والتصوير.....	55
د- كتابات القناصل والدبلوماسيين.....	58
هـ- آثار الاستشراق على الدولة العثمانية.....	62

المحاضرة الثامنة: اليهود و الاستشراق.....	**65**
أ- هجرة اليهود ونشاطهم في الدولة العثمانية.....	65
ب- جهود اليهود في حركة الاستشراق.....	66
ج- التاريخ العثماني و الاستشراق اليهودي المعاصر.....	67
خاتمة.....	**73**
الملاحق.....	**74**
قائمة المصادر والمراجع.....	**78**
الفهرس.....	**87**